العدد العاشر | السنة الأولى

صاحب الامتياز
ورئيس التحرير
سعيد رمضان

الإدارة :
٣٢ شارع المنيل
بالروضة بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

المسلمون

مجلة إسلامية جامعة
تصدر مع غرة كل شهر عربي
سنتها عشرة أعداد

الاشتراكات
ص
١٠٠ عن سنة كاملة
٦٠ عن نصف سنة
وللطلاب
٨٠ عن سنة كاملة
٤٠ عن نصف سنة
٢٥ عن ثلاثة أعداد
يضاف اليها أجرة
البريد خارج القطر

ذوالحجة سنة ١٣٧١ | أغسطس سنة ١٩٥٢



لفضيلة الأستاذ حسن الهضيبي

المرشد العام للاخوان المسلمين

« إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ »

دخل عليَّ فى الأسبوع الماضى مراسل جريدة أجنبية ومعه أحد الإخوان الذين يساعدوننى فى الإلقاء إليه بما أريد باللغة التى يتكلمها .

وقد لاحظت لأول مقدمه أنه ينتفض من الرهبة . فلم أشعره بأنى لمحت شيئاً من حاله وجعلت أحدثه فيما أراد ، ولما هم بالقيام لاحظت أنه خف عنه الروع ولم يذهب ، فاستبقيته بعض الوقت وقلت له فيما قلت : إنك سألتنى عن مقاصد الإخوان المسلمين وعلى الأخص بالنسبة للأجانب : هل يسمح لهم بأن يمارسوا عباداتهم وتجاراتهم ، وهل يمكن أن تتعاونوا مع الأجانب على النهوض بالبلاد الخ . . ؟ وقد أجبتك بحقيقة أحكام ديننا فيما سألت ، وليس فى هذه الأحكام شئ يتنافى مع ما تفعله الدول الأخرى من التقنين للأجانب ، فما هو السر فيما تعتقدون من تعصب المسلمين ، هذا الاعتقاد الذى تدل عليه الأسئلة الكثيرة التى وجهت وتوجه إلى : فقال الرجل هذا شئ تتعلمه

كيف تحج وتزور

جاء فى القرآن الكريم قوله تعالى لإبراهيم عليه السلام : « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » . قالوا لما أوحى الله إلى إبراهيم بهذا ، تصور الأمر فوجده خطيرا ، فقال يا رب : كيف أؤذن فى الناس بالحج ليأتوا من كل فج عميق ، وماذا عسى أن يبلغ صوتى من المسافات والآماد ، فأوحى الله تبارك وتعالى إليه « عليك أن تؤذن ، وعلىّ أن أبلغ صوتك لمن أشاء » .

ومن هذا استنبطوا لطيفة روحية ، هى أن كل حاج أو معتمر نهض لزيارة بيت الله ، إنما جاءت نهضته لا عزيمة منه — وإن كانت العزيمة ظاهرة — وإنما عن انبعاث ألقى الله سره فى نفسه ، وهو سر يتضمن دعوة إبراهيم وصوت تأذينه فى الناس ، تولى الله إلقاءه إنجازا لوعده السابق ، فكأن الله سبحانه هو الداعى بنفسه إلى زيارة بيته ، فكل من انبعث إلى هذه الزيارة ، فقد انبعث بإشارة غيبية أو بدعوة إلهية وجهت إليه من صاحب البيت ، ولأمر ما كان على من لبى الدعوة إلى الحج أو العمرة أن يقول « لبيك اللهم لبيك . . . لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك .. » فلبيك هى مظهر الاستجابة لنداء الله لا لنداء غيره .

وينبنى على هذا الاستنباط الدقيق المشرق أن الله سبحانه لا حاجة له فيما عدا ذلك من القلوب الغليظة المظلمة المنصرفة عنه ، فليست أهلا لأن يشرفها بشرف الدعوة ، وكرامة الزيارة ، فعلى القادر الذى يملك النفقة ، وصحة البدن أن يفكر فى معنى إعراضه عن الله ، وفى معنى إعراض الله عنه ، وفى ذلك الكساد المعنوى الروحى الذى يلم به ويجعله فى عباد الله همَلا رخيصاً غير جدير بشرف توجيه الدعوة إليه . . . عليه أن يفكر فى ذلك طويلا ، وأن يهتم له ، وأن يقبل على الله مستغفرا مستمنحا راغبا خاشعا ماداً له يد الضراعة فى الإنابة راجياً منه عز العبودية وشرف القبول ، فإن ذلك حقيق بإقبال الله عليه .

أما ذلك الذى سبقت له الحسنى وتوجهت له الدعوة من ملك الملوك سبحانه ، فعليه أن يقدر هذا المعنى حق قدره . . . وقدره أن يجعل الهمة كلها لله ، ويجرد قصده من كل شائبة رياء أو غرض دنيوى . فهؤلاء الذين يقصدون بيت الله لإصابة مغنم

من المغانم ، أو ليعرف الناس عنهم الورع والصلاح إنما تنظر عيون قلوبهم إلى غير الله ، تنظر إلى الناس ، أو تحملق وتحدق فى المغانم الرخيصة وأنهم حينئذ ليكونون أكذب الكاذبين حين ترتفع حناجرهم بالصوت الكريه البغيض « لبيك اللهم لبيك . . . » وإن كل شىء فى الوجود ليرد على هؤلاء المنافقين المرائين الكاذبين ، تلبيتهم المزيفة ، فإنهم لا يلبون الله ، وإنما يلبون الخاطر الوضيع الذى ألقاه الشيطان فى قلوبهم ، وقد رووا أن على بن الحسين لما هم بالتلبية مرة اعتراه حال من الخوف والانقباض والاصفرار ، فسئل عما يغشاه ، فقال إنى أخشى أن أقول لبيك اللهم لبيك ، فيرد على هاتف السماء ، لا لبيك ولا سعديك ، وكل قصدك مردود عليك .

فتجريد القلب والنية من كل خاطر دخيل ، أمر حتم لإقامة الحج والعمرة أو لإقامة زيارة بيت الله على أصدق أسس التوحيد وعبادة الله .



وليس هذا التجريد مطلوبا عند التلبية فحسب ، بل هو مطلوب منذ انبعاث الهمة إلى ما أراد الله لعبده من كرامة حتى ينتهى من كل المناسك والشعائر ... وليس معنى هذا أننا نبيح للمرء أن يستغرق فيما يشاء من خواطر الشرك والسوء وعبادة الدنيا بعد فراغه من أمر نسكه ، فإن ذلك هو عزيمة المؤمنين العارفين فى كل وقت ، بل فى كل لحظة ، وعلى كل إنسان أن يشمر للبقاء على هذه العزيمة . ولكن لما كانت زيارة بيت الله معناها قصد الله سبحانه فى بيته ، وجب أن يكون هذا القصد بالقلب والوجدان وكمال العاطفة قبل أن يكون قصدا ملحوظا فى عالم الحس والمشاهدة ، وذلك لا يتحقق أبداً إلا أن ينسلخ المرء من دنياه ظاهرا وباطنا ، ويقبل على سيده ، وليس فى قلبه مثقال ذرة منها .. ولأمر ما لا يدخل المرء على الله فى بيته ، إلا وجسمه عار من كل زينة للحياة الدنيا ، فإذا كان هذا شأن الجسم ، فأولى ثم أولى أن تنصرف الهمة لتعرية القلب إلا من لباس التقوى . ولكى ندرك حرمة هذا المقام ، علينا أن نذكر أن الله سبحانه أعلن لعباده أنه لا يعاقب أحدامنهم على خاطر السوء يمر بباله وإنما يعاقب على ما يقع من الذنوب فقط . هذا هو شأن الله مع عباده وسنة فضله التى أكرمهم بها ، ولكنها سنة لا يجريها إلا فى خارج حرمه الشريف ، أما فى الحرم ، وفى حواريه فإنه أغير من أن يترك عباده يقعون فى سوء الأدب معه ويدعون صدورهم مسرحا لكل ما يلقى فيها الشيطان من خواطر الإثم ، فأنذرهم أن شأنهم فى هذا الحرم المقدس غير شأنهم فى أى مكان آخر ، وأن كل إرادة من إرادات السوء تخطر على بال أحدهم سيعاقب عليها بأشد

العذاب ، وذلك قوله سبحانه « إن الذين كفروا ، ويصدون عن سبيل الله ، والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ، ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم » والإلحاد هنا ليس معناه الشرك والزيغ عن العقيدة الصالحة ، وإنما معناه الميل إلى لون من ألوان الإثم ، ومجرد الإرادة فى هذا الميل يوجب لصاحبه عذاب جهنم والعياذ بالله . . . ومن هنا كان عبد الله بن عباس رضى الله تبارك وتعالى عنهما يفر من مكة ويقيم بالطائف ، ويقول: من لنا بأداء حق الإقامة فى بيت الله الحرام ، وهو الذى يقول : « ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم » .

ولو رحنا نتحدث عن أحوال العارفين فى تعظيم حق البيت الحرام ؛ لظن بنا الناس الظنون ؛ وحسبوا أنا لا نصلح للإقامة فى هذه الأرض ؛ ولكنه الله إذا أشرقت معرفته فى قلب ما ، اقترن الإشراق بحب يهون فى سبيله كل شىء ، وتوقير جليل ينفى عن المرء كل ترخص تركن إليه الهمة ... وهذا إبراهيم بن أدهم وهو من يعرف الناس عنه أنه ينتمى إلى أسرة من أسر الإسلام المالكة ؛ كان فى بعض أمره أيام عزه وسلطانه ، فإذا سر السعادة ينقدح فى سره فجأة فيرتاع لما هو فيه من لهو وعبث ، ولما على جسمه من زينة وحلى ، فيفر إلى الله ، ويعقد معه عهداً أن يخرج له عن ملكه ووطنه ، وعن أهله وولده ، وعن كل ما تهوى نفسه فى الحياة الدنيا . . . وخرج هائماً على وجهه حتى سكن الشام ، يعمل للناس بالكراء فى الأرض والبساتين . . . تلك قصة هذا الرجل ، وليس فيها شاهد لما نحن بصدده ، وإنما الشاهد أنه كان فى طوافه مرة بالبيت الحرام ، وإذا بالناس ينظرون إلى شاب حسن الوجه ، قد أعجبهم شبابه وحسنه ، وإذا بإبراهيم ينظر إليه ويبكى ، فظن بعض الناس أن الشيخ افتتن بالشاب ، فأقبل عليه يسأله ما هذا النظر الذى يخالطه البكاء يا سيدى فقال له يا هذا : لولا أنى أستحى من الله لأدنيت هذا الفتى منى وسلمت عليه ، لأنه ولدى وقرة عينى ، تركته صغيراً ، وخرجت فاراً إلى الله ، وها هو ذا قد كبر كما ترى ، وإنى لأستحى أن أنشغل عن الله به فى هذا المقام وأنشد يقول :

هجرت الخلق كلا فى هواكا   وأيتمت العيال لكى أراكا
فلو قطعتنى فى الحب إربا   لما سكن الفؤاد إلى سواكا

***

ومما يجدر بالالتفات إليه فى زيارة بيت الله الحرام ، أنها رحلة رمزية إلى الله ترمز إلى الرحلة الكبرى ، التى تبدأ بميلاد ابن آدم ، وتنتهى بالحشر إليه سبحانه . . . وقد

شرع الله هذه الرحلة إلى بيته ، تذكيراً لهم ، وتنبيهاً إلى ما وراءها ، فهى بمثابة التدريب على الرجوع إليه والحشر الأكبر بين يديه . . . ألا ترى أن كلا من الرحلتين تتشابه فى مبدئها وفى منتهاها فى أن المرء يخرج فى كلتيهما من بيته وأهله وولده ، وسائر أحبابه . . . وأنه فى الحالتين يتجرد من ثيابه العادية ويلبس ثيابا متشابهة . . . وأنه فى النهاية يحشر مع خلق الله فى صعيد واحد ، فى مكان لا سلطان فيه لأحد إلا الله .

هذا المعنى يجب ألا يغيب عن أذهاننا ، فإنه تدريب وإعداد ، وتهيئة ، حتى إذا ختمت الحياة ، ورفع الستار عن الرحلة الكبرى ، كان صاحبها ، أكمل ما يكون استعداداً وتدريباً على اجتياز مراحلها ولقاء الله على بصيرة . . . والويل كل الويل ، لمن اتخذ الأمر لهواً ولعباً ، وظنه رحلة عاطفية ، ونزهة نفسية وغابت عنه تلك الحقائق النفسية الخطيرة . . . الويل له حين يرتفع الستار ، ويدعى إلى ما لم يتهيأ له ، هنالك يهلع فؤاده ، وتطير نفسه شعاعا ، ويتشبث — عبثاً — بأهداب الدنيا « رب ارجعون لعلى أعمل صالحاً فيما تركت ! ! كلا . . . إنها كلمة هو قائلها ، ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون » .



ولكى ينجح الحاج أو المعتمر فى زيارته لبيت الله الحرام ، ويحقق هذا المعنى الذى أشرت إليه ، عليه أن يستحضر فى ذهنه معنى « بيت الله » ، عليه أن يستحضر نسبته إلى الله ويديم النظر فى معنى إضافته إليه « بيت الله » . . . ولقد قربوا هذا المعنى إلى الأذهان فقالوا إن رجلا أعلن فى أهله أنه ذاهب إلى بيت الله ، فأخذوا يعدون له زاده وثيابه وسائر عدته ، فتشبث به ولد صغير له ، وأصر على أن يذهب معه إلى « بيت الله » ولم يجد الرجل سبيلا إلى التخلص من إصرار ولده ، فأخذه معه ؛ فلما أشرفا معاً على الكعبة خر الولد مغشيا عليه ومات فحزن أبوه عليه ، وكأنما توجه إلى الله بشىء من العتب أو التساؤل ؛ فإذا بهاتف الله يهتف به فى أعماق نفسه : إنك قصدت البيت ، فوجدت البيت . . . أما ولدك فإنه قصد رب البيت ؛ فلما أشرف عليه عاين من جلال المقام مالم يقو على احتماله ، فانخلع قلبه ومات .

فهذا الطفل الساذج نظر فى كلمة « بيت الله » على أنها حقيقة لغوية ، أما أبوه فنظر إليها على أنها اصطلاح فنى للكعبة ؛ فلما اختلفت طبيعة النظرة لدى كل ، وقفت مشاهدة الرجل عند الأركان ، والأوضاع المادية ، وما عليها من الكسوة التقليدية ونحوها . . أما الطفل الساذج فكانت سذاجته سبيلا إلى انكشاف قناع قلبه ، فذهب ينظر لا إلى البيت ، وإنما إلى رب البيت ، فنفذت نظرته إلى ماوراء نظرة أبيه ، فعاين من مشاهد

الجلال مالم يثبت له كيانه ... وحبذا لو انطوى كل منا فى زيارته « لبيت الله » على مثل هذه النظرة الساذجة التى تقف بنا عند مدلول الحقيقة اللغوية ، لتنفذ بسرها إلى مالا تنفذ إليه نظرات الواقفين عند رسوم المصطلحات والأشكال .

* * *

وقد يكون هناك من آداب زيارة بيت الله ماهو أكثر من ذلك وأجل بركة ، ولكنا نحسب أن فى هذا القليل الذى قدمناه بلاغاً وعظة ، والعبرة بالعمل والتنفيذ ، لا بكثرة ما يمر على أذهاننا من حصيلة السماع والقراءة . . وننتقل إلى المدينة لزيارة مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والكلام فى تعظيم حرمة المدينة يطول ، وقد أفرد السمهودى لها مؤلفا جليلا فى مجلدين كبيرين ، وخير مزاياها أنها المعقل الذى أوت إليه الدعوة الإسلامية فقوى به رجالها ، واعتز شأنها ، واستفاض خيرها وبرها ... وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ولأبنائها بالبركة ، وما زال أثر هذه البركة يتجدد إلى اليوم فيما يحكيه زوار المدينة من حسن أخلاق أهلها ، وطيب شمائلهم . وكرم معاملتهم ، وقد أكرم الله ترابها الطيب لجعله مقراً لجسد النبى صلى الله عليه وسلم . . فإذا وطئناه ، وطئناه على هون ، وخفة ، وورع . .

ولقد ملأ هذا الورع قلب الإمام مالك رضى الله عنه وملك عليه زمامه ، فلم يسمح لنفسه بأن يرى راكباً بغلته فى مدينة رسول الله ويقول : كيف أركب فى مدينة يقيم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثراها ؟ .

* * *

والناس يقصدون رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمرين جليلين ، يتوقف عليهما صلاح الدنيا والآخرة .

أما الأول فطلب المغفرة من الله عز شأنه ، وهو مقصد جليل ، ندبنا سبحانه إليه ، وشرع لنا سبيله بقوله الكريم : « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم ، جاءوك فاستغفروا الله ، واستغفر لهم الرسول ، لوجدوا الله تواباً رحيما » ... فيجب أن يكون قصدنا إلى ساحته ، قصد الملهوف الباكى على ماأسلف من ذنب ، الآسف على ماوقع فيه من تهاون وتفريط فى حق نفسه وجنب الله .

نعم قصد الملهوف الذى انكشف لبصيرته أنه مأخوذ لا محالة أخذ عزيز مقتدر ، إلى حيث يلقى فى ساحة يرعد فيها من الهول ، كما ترعد السعفة فى اليوم العاصف ، فلا يغنيه إلا أن يكون قد راقب نفسه ، وخاف مقامه بين يدى الله ، لحط عنها بالاستغفار ، كل ما يقع عليها من إثم ، أو يعلق بها من شائبة . أما قدوم العاطفة الآمنة المدللة ، فهو والعياذ بالله ضرب من الحجاب ، وشارة الحرمان مما يساق إلى تلك الساحة من بركات ، كيف وقد سربل نفسه بغير شعار الذل والخوف والحاجة إلى فضل الله وعفوه ، وهو الشعار الذى كشفت عنه الآية عند قوله تعالى: « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم ، جاءوك ، فاستغفروا الله » كما يجىء العبد الآبق ، وقد ألقى السلم ، وأعطى من نفسه كل سمع وطاعة بعد أن لم يجد فراراً من سيده إلا إليه . . . ونحن أمام عهد من الله أن يغفر لنا لا محالة ، إذا تحققنا بكل ما تأخذنا به الآية الشريفة من حق هذا المقام وهو عهد يرفع لأبصارنا خصوصية امتاز بها مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتفردت بها حضرته الشريفة ، دون سائر البقاع ، فإن المعهود أن يستغفر المرء ربه وهو يرجو أن يقبل استغفاره ، أما فى هذا المقام ، فقد طوى الله مرحلة الرجاء وحل بذاته فى الحضرة المطهرة ، بكل ما يبغى عباده التائبون من غفران ورحمة وتوبة ، وذلك هو منطوق الآية ، وظاهر لفظها ونصها ، فلو كشف عنهم الغطاء لأبصروا ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولتحققوا عين اليقين مدلول قوله سبحانه : « لوجدوا الله تواباً رحيما » . . ولقد حدث الإمام العتبى . كنت جالساً عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، فجاء أعرابى فقال : السلام عليك يا رسول الله ، سمعت الله يقول : ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم ، جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول ، لوجدوا الله تواباً رحيما ... وقد جئتك مستغفراً لذنبى ، مستشفعاً بك إلى ربى .

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكم

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الأعرابى فغلبتنى عينى ، فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم ، فقال ياعتبى ، الحق الأعرابى ، فبشره أن الله قد غفر له .

وليت أدرى إذا لم نزر قبر الرسول لمثل هذه الأغراض الروحية السامية ، فيم تكون الزيارة ؟ إنه قبر كسائر القبور ، ولكن صاحبه ليس كسائر الموتى ، وهذا ما يوجب شد الرحال إلى ساحته المقدسة . . . ولو كان ساكنه بشراً عاديا لأغنى عن النصب فى سبيله وشد الرحال إليه أن نزور أى قبر من ملايين القبور كلما نشأت فى نفوسنا حاجة

إلى الاعتبار بذكر الموت ، ولكن ساحة هذا القبر تفردت بسر ميزها عن سائر البقاع كما ذكرت ، فيجب أن تستشعر نفوسنا من ألوان الشعور والتأثرات وصفاء الوجد ورقة النجوى ما يكفل لها حظها الموفور من الفوز بأرقى الكمالات .

أما المقصد الثانى ، فهو توثيق العهد وتجديد البيعة بين يديه صلى الله عليه وسلم ، فكل ما ربطنا به عليه الصلاة والسلام هو هذا العهد ، فما لم يكن مؤكداً موثقاً ، مبرم العروة ، كنا بهذا الانحلال على شفا جرف هار يكاد ينهار بنا فى نار جهنم .

وتوثيق العهد معناه استجماع العزيمة على العمل ، وإحياء ما جاء به عليه الصلاة والسلام قولا وعملا ، وسنة وقرآنا . . . إحياؤه فى قلوبنا وعقائدنا وعقولنا وعزائمنا وأعمالنا وسيرتنا وكل ما يتصل بحياتنا الظاهرة والباطنة ، وفى هذا الإحياء حياتنا وعزنا ورفعتنا ، فالله سبحانه يقول : « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » .



ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليس هو مجموعة اللحم والعظم التى ثوت فى تراب المدينة ، وإنما هو تلك الحقيقة النورانية التى تمثلها سنته أصدق تمثيل ، فإذا أنت أحييت هذه السنة فقد ظفرت بهذه الحقيقة حية نابضة بين جنبيك ، أو فقد أحييت فى نفسك مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلى هذا المعنى يشير قوله عليه الصلاة والسلام : « من أحيا سنتى فقد أحيانى » ولعل الرافعى رحمه الله كان ينظر إلى كل هذا حين قال :

إن الرسول لحى فى ضمائرنا   على الزمان يرى فيها ويستمع
يكاد والله بالتنزيل قارئه   يحس صوت رسول الله يرتفع

إنه فينا بسيرته ومثله العليا، وحقيقته النورانية، لهذا زرنا قبره الشريف ، فلتكن ثمرة الزيارة عزيمة جديدة مؤكدة على إحيائه ؛ فنعود وبين جنبينا سعادة الدنيا والآخرة .

وبعد فيجب أن تكون ثمرة الزيارة استغفاراً ننجو به من عذاب أليم ، وبيعة نظفر فيها بهذا السر ، يحيا بيننا ويحيا فينا ، ولن نضل أبداً أو يلحقنا أى مسيس من الشقوة إذا استقام أمرنا على استغفار مقبول ، ورسول كريم يعيش فينا ، وذلك عهد الله وضمانه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » .

قصص القرآن

آدم عليه السلام

عرض وتحليل للأستاذ البهى الخولى

(٨)

« ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما »

نحو الخلافة :

قلنا فى مقالنا السابق : إن آدم عليه السلام استقبل هذا الوجود ببشرية ملساء غفل من كل تجربة . . . . وبروحانية صافية مشرقة لا تكدرها شهوة قائمة ولا ظلمة خطيئة سابقة ... فهو كيان بشرى فى صفاء تام كامل يذهب ويجىء فى ملأ ربه الأعلى ، ويسمع ويرى ، ويعمل ما يؤمر به . . .

أما غرائزه فكانت مستكنة لم تخرج بعد إلى حيز نشاطها الواقعى !

تلك كانت حاله لأول لحظة استقبل فيها هذا الوجود ؛ ثم بدأت الغرائز الكامنة فيه تظهر وتنبعث متوالية على النسق الذى سجلته القصة الكريمة :

١ — غريزة الزوج .

٢ — غريزة حب الخلود .

٣ — غريزة الملك .

٤ — غريزة التدين . . .

وقد ذكرنا تلك الغرائز بشىء من التفصيل فى العدد الماضى .

تطور :

وبظهور تلك الغرائز صار لأبى البشر عليه السلام مزاج نفسانى جديد غير مزاجه النورانى السابق ... مزاجُ البشر الذى تفجرت فى كيانه خصائص بشريته ، وانتشر فيه ما للغرائز والهوى من كدرة وظلمة لامزاج الروحانية الصافية والبشرية الملساء من كل تجربة ؛ وذلك تطور نفسانى وتحول معنوى نلاحظه ونسجله بين يدى تطور آخر من لون آخر سجلته القصة الكريمة وكان له فى حياة آدم بلاشك أثر خطير ، ذلك هو ظهور السوءات ما كان منها خاصاً بالتناسل وغير التناسل .

وقد تولت القصة عرضه فى نسق واضح لا يحتمل الغموض أو الجدل ، فيقول سبحانه :

١ — « يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما [١] » .

فهذا النص الكريم يثبت وجود سوءة لكل من آدم وحواء عليهما السلام . . . ويثبت بجلاء أنهما ما كانا يريان تلك السوءات وأن الشيطان كان يحتال (ليريهما سوءاتهما) .. وأن هذه السوءات كانت مستترة تحت لباس يغطيها ويخفيها .

وقد تكلم علماء الإسلام وأئمة التفسير عن هذا اللباس فمن قائل : إنه لباس من ريش كان يستر جسميهما ، ومن قائل إنه كان غشاء يغلف الجسم كله من نوع الأظافر ، ومن قائل غير ذلك

وليس يعنينا أن نعرف كنه هذا اللباس ، فلن يترتب على معرفته أمر ذو بال ، وحسبنا أنه كان لباساً يستر عن آدم وحواء ما لهما من سوءات .

٢ — « فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ورى عنهما من سوءاتهما [٢] » .

فهنا كذلك ذكر للسوءات ونص على أنها مغيبة عنهما ، وأن وسوسة الشيطان مصوبة إليها يريد أن يثيرها من مكمنها ليبدى لهما ما ورى منها .

٣ — « فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة [٣] » وبذا تم للشيطان ما أراد .

ماذا كانت تلك الشجرة ؟ وما خصائص ثمرها ؟

لقد قيل فى ذلك ما قيل ، وكله لا سند له من كتاب ولا سنة صحيحة ، وحسبنا أن نعلم أن هناك صلة وثيقة بين طبيعة جسم الإنسان والتركيب الغذائى لثمر تلك الشجرة ، صلة ترتب عليها ذلك التطور العضوى حين أكل آدم من ذلك الثمر فانسلخ عنه غشاؤه أو لباسه وبدا ما كان مستترا من سوءاته

هذان لونان من ألوان التطور أحدهما نفسى انتقل به آدم من حال الصفاء إلى المزاج الذى يختلط فيه النور بشوب الهوى والشهوة . . . وآخر عضوى ينتهى بالجسم إلى طوره الأخير ، بعد أن تخلص مما كان عليه من أغشية وألبسة وظهر ما كان مخبوءا تحت ذلك من أعضاء .

---

(١) سورة الأعراف ٢٧ .

(٢) سورة الأعراف ٢٠ .

(٣) سورة طه ١٢١ .

وفى المقام دلالات على تطورات عضوية أشمل من ذلك ، وهى دلالات تدرك بملاحظة القرائن أكثر مما تدرك من نصوص الآيات .

فمن ذلك أن نصوص القرآن الدالة على أن آدم كان يرى الملائكة فى الملأ الأعلى ويكلمهم ويأخذ منهم ويعطى ، تدل كلها على وقائع سبقت الأكل من الشجرة ، أما بعد الأكل فإننا لا نجد نصاً واحداً يدل على أنه استمر يرى ويسمع ما كان يرى ويسمع من قبل . . . فهل كانت حواسه عليه السلام وهو بالملأ الأعلى ذات طاقات فى الإدراك والابصار والسمع ليست لحواسنا ، ثم طرأ عليه تحول عضوى بالأكل من الشجرة ، فهبط إلى مستوانا الذى ورثناه منه ؟

إن تلك التغيرات التى ذكرناها من نفسية وعضوية إنما هى انتقالات يفقد بها آدم تجانسه مع الملأ الأعلى ليكتسب خصائص التجانس مع الأفق الذى يوشك أن ينتقل إليه ؛ ولعل مما يؤنسنا فى هذا المعنى قوله سبحانه : « وعصى آدم ربه فغوى [1] » ، فالمتبادر إلى الذهن أن « غوى » تحمل معنى الإثم والمعصية ، ولكن التأمل فى متن الآية لا يلبث أن يبنا غير ذلك ؛ فإن قوله سبحانه : « وعصى آدم ربه » يحمل معنى الإثم والمعصية بصفة قاطعة ؛ فإذا قلنا إن « غوى » يحمل كذلك معنى الإثم والمعصية فقد أجزنا دخول الحشو فى كلام الله — حاشاه — وهبطنا بالنسق الكريم إلى مستوى من الركاكة يتنزه عنه القرآن كل النزاهة . . . وإنما غوى هنـــا من « غوى الفصيل بمعنى فسد جوفه . . ومعصية آدم التى ترتب عليها فساد جوفه وتغير مزاجه هى الأكل من الشجرة ؛ والمراد هنا فساد عيشه بالجنة واضطراب حاله ، لا البشم الذى يكظ البطن ويتخم المعدة ، والنظم الكريم فى الآية يربط المقدمة بالنتيجة ، ويجعل الفساد مرتباً على المعصية والأكل من الشجرة « وعصى آدم ربه . . . فغوى » قال القرطبي فى تفسيره الجليل : « فغوى » أى ففسد عليه عيشه ، حكاه النقاش واختاره القشيرى . . . قال : وهو تأويل حسن وهو أولى من تأويل من يقول « فغوى » معناه ضل من الغىّ الذى هو ضد الرشد . اهـ

ذلك إلى أن خروج آدم من الجنة يشير إلى أنه قد صار إلى حال من التغير أو التطور لا يلائمها البقاء فى الملأ الأعلى . . . فإن خروجه منها لا يمكن أبداً أن يكون عقوبة على معصية ، وجزاء على خطيئة ، فإنه قد تاب إلى الله ، وتاب الله عليه ؛ ولا عقوبة مع توبة ، ولا ذنب مع مغفرة ؛ بل إن مقتضى التوبة والمغفرة أن يظل على ما كان فيه ؛ ولكن كيف يظل هنا وقد نبا به الموضع وفقد التجانس معه ، ولكل

---

(١) سورة طه .

شيء سنته ، ولكل أفق نظام حياته : « اهبطوا منها جميعاً » « ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين » .

على رأس الخلافة :

ولكن هل أتينا على كل ما أوردته القصة الكريمة من خصائص آدم وأطواره التي ترشحه لمعايش هذه الأرض ومعالجة شئونها ، ومعاناة مراسم الخلافة فيها ؟

لقد عرضنا ما قررته القصة من مواهب الروح الذي نفخه الله فيه ، وهي مواهب وصفية محضة تتعلق بالمعنويات لا بالمحسات ، ولا ترشحه وحدها لمزاولة هذا الغرض الجليل !

وعرضنا لبيان غرائزه الأصيلة ، وهي قوى بشرية لا بصر لها ولا بصيرة ؛ إذا رشحته للمعيشة في هذه الأرض فإنما ترشحه لطراز تافه لا يمتاز عن معيشة سائر الحيوان في شيء .

إن هذا الخليفة الممتاز يجب أن يهبط إلى الأرض وهو يحمل معه مفاتيح كل شيء فيها ؛ وليس في غرائز الحيوان أو مواهب الروح المحض ما يعطيه مفتاحا واحداً منها .

إن الله سبحانه لم يرد لخليفته في الأرض أن يكون ملكا محضاً ، ولا حيوانا محضاً وإنما أراده بشراً مسيطراً في هذه الأرض يفعل فيها ما لا تستطيع الملائكة وما لا يستطيع الحيوان ، وذلك يقتضي تجهيزه بسر ليس للملك ولا للحيوان ؛ سر يفتح له كل ما في الأرض من خزائن وكنوز ، ويذلل له كل ما يجد فيها من عقبات .

وهذا السر فيما نعلم هو الذي يشير إليه قوله سبحانه : « وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم [1] »

فهذا السر — إذاً — هو العلم الذي علمه الله آدم من دون الملائكة ، وجهزه به ليكون نوره الذي يهديه إلى ما يصلحه . .

وقد قال كثير من المفسرين : إن الله سبحانه علمه الأشياء كلها ، ما كان كائناً منها وما سيكون إلى يوم القيامة لم يدع من ذلك شيئاً كبر أو صغر . . قالوا وعلمه أسماءها كلها باللغة التي كانت كائنة وبكل لغة ستكون إلى يوم القيامة ؛ وقال أستاذنا الشيخ عبد الوهاب النجار في قصص الأنبياء : « والذي أفهمه أنه علمه جميع الأشياء التي في جنة عدن ، وألهمه وأقدره على وضع اسم لكل ما تقع عليه عينه هناك من زروع وأشجار وثمار وفروع وورق ولب ونوى وجميع الأوعية والأدوات التي هناك وجميع ما فيها من حيوان وأجزائه لاحتياجه إليها » .

(١) البقرة

والذى قاله أستاذنا حق ، ونزيد عليه أن الله سبحانه بث فى آدم سر الاهتداء إلى خصائص الأشياء ووسائل الانتفاع بها ؛ ونحسب أن ذلك هو معنى الأسماء فى قوله سبحانه : « وعلم آدم الأسماء كلها » أى علمه حقائق مسمياتها وما لها من خصوصيات المنافع والمضار ؛ فإن اسم الشيء يقترن دائماً فى الذهن بما له من صورة ولون وأجزاء وبما له من سائر المقومات والمزايا الحسية والمعنوية . . . وما جدوى الاسم إذا لم يكن دالا على ما وراءه من أسرار الذات وقيم الصفات ، وخصائص الجواهر والعناصر ؟

قال الإمام الزمخشرى فى تفسيره : « أى وعلمه أحوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية » . فالمعول عليه ليس هو الاسم المؤلف من حروف هجائية ، وإنما ما تدل عليه تلك الحروف ، ويشير إليه ذلك الاسم من صفات الشيء الذى سمى به .

ولعل مما نستأنس به فى هذا المقام قوله سبحانه : « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها » فأسماؤه سبحانه إن هى إلا أسماء صفاته الكريمة ، وما استحقت تلك الأسماء أن تنعت بالحسنى إلا لدلالتها على تلك الصفات القدسية ؛ فما من اسم منها إلا وهو مقصود على صفة منها قائمة بذاته سبحانه ، فالقادر والرزاق واللطيف والمغيث — مثلا — ليست كلمات مجردة من المعانى ، فإن وراء كل منها سحائب من فضله وخزائن من عطائه واللون الذى نستنزله باسم القادر ، غير الذى نستنزله باسم الرزاق وهكذا على حسب ما تدعو إليه ظروف اضطرارنا وافتقارنا إليه سبحانه ، ولذا قال سبحانه فى حق تلك الأسماء « فادعوه بها » إذ ليس المراد أن نلوذ بظل الصفات القدسية التى تنعقد عليها تلك الحروف .

فإذا قرأنا أن الله سبحانه علم آدم الأسماء كلها فإن الراجح أنه علمه حقائق المسميات وما لها من قوانين النفع والضر ، فإنه عليه السلام لم يكن بحاجة إلى معرفة مجموعة ضخمة من الأسماء بجميع اللغات أو بلغة واحدة بقدر ما هو بحاجة إلى أن يعرف خواص الكون الذى قدر له أن يهبط إليه ، فإذا عرف تلك الخواص فليكن الاسم بعد ذلك ما يكون .

ومما نستند إليه فى تقرير هذا الوجه أن نسق الآية يرجحه عما سواه : « وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة » فالضمير فى « عرضهم » يعود على الأسماء ؛ وهو ضمير يختص بالعقلاء ، ولا يجوز أن يعود على الأسماء إلا إذا كان مراداً بها مسمياتها لا مجموعة حروفها التى لا تعقل ؛ قال الزمخشرى : « ثم عرضهم ، أى عرض المسميات . . وإنما ذكر الضمير لأن فى المسميات العقلاء » .

فآدم عليه السلام إنما تعلم حقائق الأشياء ، وسنن الله التى تحكمها وتضبط خيرها وشرها ، وتنظم نفعها وضرها .

وليس المراد بالتعليم أنه سبحانه أعطاه دروساً فى الكيمياء والطبيعة والفلك والطب ونحوها مما يضع فى يده أزمَّة قوانين هذا الكون الأرضى ، وإنما المراد أنه بث فيه من أسرار الفهم والاستعداد الفطرى ما يكشف به تلك النواميس والسنن .

والتعليم هنا مسند إلى الله سبحانه ، وحين نعود إلى معانى التعلم المسندة إليه جل شأنه مباشرة — أى بدون وساطة ملك أو وحى — تراها كلها فى القرآن الكريم دالة على ما وهب الله سبحانه من استعداد فطرى للادراك والفهم والإلهام والمعرفة .

وقد يكون هذا الاستعداد الفطرى عاماً شاملا جميع أفراد النوع الإنسانى كما فى قوله سبحانه : « علم الإنسان مالم يعلم » وقوله : « خلق الإنسان علمه البيان » أى أودع فيه سر النطق والتعبير عما يجول فى نفسه من المعانى .

وقد يكون هذا الاستعداد هبة خاصة لفرد معين أراد سبحانه أن يميزه به ويجعله خصوصية له . . .

ولقد كان يوسف عليه السلام ذا بصيرة ملهمة وملكة مرنة فى تأويل الأحلام ، فلما فسر لصاحبيه فى السجن ما رأى كل منهما من رؤيا قال : « ذلكما مما علمنى ربى » أى بعض ما وهب لى من استعداد للعلم والفهم ، وهو عليه السلام إنما يرجع فى ذلك إلى قول الله عنه « ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما » . . ومن البدهى أن ذلك لم يكن دروساً ألقيت عليه وإنما هو نور قذف فى فطرته جعل له هذا الاستعداد الخاص الذى عبر عنه فى أخريات حياته بقوله : « رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث » .

وواضح أن التعليم فى حالتيه العامة والخاصة ، مراد به سر المواهب التى جهز بها المرء ليدرك أسرار ما يتصل به ويعلم حقائق ما حوله من الأشياء ؛ فإذا فسرنا قوله سبحانه « وعلم آدم الأسماء كلها » بما فسرناه به ، فليس هو مذهباً لنا فى الفهم ، ولا رأياً نبتكره ، وإنما هو نهج القرآن وعين المفهوم من كلامه سبحانه كلما أسند التعليم مباشرة إلى ذاته الشريفة .

على أن الواقع من أحوال بنى آدم فى هذه الأرض يؤيد هذا الرأى ؛ فقد ورثوا عن أبيهم هذا الاستعداد على مدى العصور ، وظلوا به يكشفون من أسرار هذا الكون وقوانين طبيعته ما يمكن لهم من السيطرة وتوسيع دائرة الإنتاج والعمارة . . .

وانفردوا بذلك فلم يشاركهم فيه حيوان ولا ملك .. أما الحيوان فلم يكن لهم إلا دابة ذلولا مسخرة ؛ وأما الملائكة فلم يكن لهم من غناء فى هذا المضمار إلا أن قالوا :
« سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم » .

ذلك هو العلم الذى يستفتح به آدم أفق هذا الكون الأرضى ليؤدى فيه مراسم الخلافة على ما رسم له الله سبحانه .

الأرض فى طور جديد :

هبط آدم إلى الأرض مكتمل الغرائز ، متعدد الآفاق والمواهب ، مزوداً بقوله سبحانه : « اهبطوا منها جميعاً ، فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون [1] والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » .

ولقد سبقه إليها ما نعرف من أنواع الحيوان وما لا نعرف مما انقرض نسله ، وغبر عهده ، وكشفت لنا الحفريات عن هياكل بعضه . . . فهل فيما عرفنا من أنواع هذا الحيوان كائن له مثل ما قررته القصة لآدم وسجله التاريخ لذريته على مر العصور ؟

لا شك أن الأرض لم تشهد قبل آدم كائناً له مثل مواهبه المتعددة وآفاقه الكثيرة التى يهيمن بها على قوانين هذه المادة ، ويتجاوب بها مع ما فى ملكوت السماء من نفحات ! !

وكذلك لاشك أنها استقبلت فيه عهداً جديداً يخالف ما قبله من عهود الحيوان ! عهداً مطبوعا بطابعه ، متأثراً بعوامل شخصيته ، موسوما بسمات مواهبه وآفاقه المختلفة !

فإذا عدنا إلى ما كتبناه عن تكوين آدم وتحليل شخصيته وآفاقه المختلفة تبينت لنا ملامح العهد الجديد الذى استقبلته الأرض بهبوطه إليها ، وتميزت سمات حضارته ؛ على أنه يمكن إجمال ما بين العهد الآدمى والعهد الذى سبقه فى الفروق الآتية :

أولا : ظهور الصبغة الربانية فى الأقوال والأفعال والتصرفات . . وهو ما لم تشهده الأرض من قبل ؛ إذ لا يعقل أن يقال إن الحيوان يعرف الله عز وجل ، أو يستهدف فى تصرفاته شيئاً من المثل العليا .

ولا شك أن ظهور هذه الصبغة هو الأثر الطبيعى للروح الذى نفخ الله فى آدم عليه السلام . .

---

(١) البقرة ٣٨ .

ثانياً : دوران الاقتصاد على محور التثمير والإيجاب المنتج ، والدأب فى مناكب الأرض وراء كل منفعة ، والفحص فى شقوقها عن كل ما يتوقع من فائدة ... ولم تكن تشهد لقطعان الوحوش والحيوان إلا طابع السلبية الذى يأخذ ولا يعطى ، ويستهلك ولا ينتج ، ويتلف ولا يصلح .

ثالثا : اتسام الحياة الاجتماعية والاقتصادية بسمة النظام المحكم والمنطق الدقيق ...

فقد أقام هذا الكائن الجديد لأفراده نظاما من المعاملات تنوعت فيه الاختصاصات ، وتوزعت الواجبات ، وتحددت العلائق والحقوق . . . أما فى الميدان الاقتصادى فقد جرى فى تصرفاته وتثميره على قوانين من المنطق تتيح له أكبر الفائدة بأيسر المجهود ، إذ بلغ النتائج عن طريق مقدماتها ، وأتى المسببات من قبل أسبابها ، وتوسل إلى الثمر بوسائله المفضية إليه ، وجعل سنن الله فى كل شىء سبيله إلى ابتغاء ما هنالك من منافع .

رابعاً : النزوع الدائم إلى كشف أسرار الطبيعة ، وامتلاك أزمة قوانينها ، وتسخيرها كائنة ما كانت لمنفعته . . . فهيمن على الحيوان وذلل كثيراً من أنواعه لمشيئته ؛ وسخر الرياح ومجارى الأنهار ، وأنواع القوى . . . ولم تكن الأرض تشهد لتلك الهيمنة وهذا التسخير من أثر قبله .

وهذه الهيمنة التى جعلت إليه زمام كل شىء هى الأثر الطبيعى للمواهب الإيجابية المرنة التى جهز بها الإنسان لمواجهة عوامل هذا الأفق المادى والاتصال بما فيه من أسرار . . .

وبالجملة كان آدم عليه السلام نقطة تحول خطير فى تاريخ هذه الأرض ؛ وبه استقبلت صفحة جديدة رائعة من العمران لا صلة بينها وبين سابقتها إلا بمقدار ما يتصل النظام بالفوضى ، والعقل الحصيف بالبلاهة السارحة الشرود ، إذ بدأ الإنسان يؤدى مراسم خلافته وحضارته الربانية فى هذه الأرض فهل أداها ، أو صدق الشيطان عليه ظنه ؟ ! !

خطر المطامع اليهودية

على البلاد العربية والمقدسات الإسلامية

لسماحة الحاج السيد « محمد أمين الحسينى » مفتى فلسطين

لليهود أهداف أساسية خطيرة لا يرجعون عنها إلا مرغمين بالقوة . فهم اليوم يريدون الاستيلاء على البقية الباقية من فلسطين ، ويسمونها (إسرائيل المحتلة) ، ويعنون بذلك أنها محتلة من قبل الحكومتين المصرية والأردنية . . وهم يستعدون لاحتلال بقية القدس ثم سائر المنطقة العربية الجبلية من الخليل ، فبيت لحم ، فجبل القدس ، فرام الله ، فنابلس فطولكرم حتى جنين . وهم يجهرون فى صحفهم ومجلس نوابهم بضرورة الاستيلاء على هذه المناطق لأن التاريخ والعلم العسكرى يؤيدان أن الذى يتحكم فى مرتفعات فلسطين تسهل عليه السيطرة على سهولها . فهم يستحثون حكومتهم على سرعة الزحف للاستيلاء عليها وعلى القدس والمسجد الأقصى المبارك لأنه بزعمهم مبنى على أنقاض هيكل سليمان ، ويؤيدون رئيس وزرائهم ابن غوريون فى قوله « لا معنى لفلسطين بدون القدس ، ولا معنى للقدس بدون الهيكل » (أى المسجد الأقصى) ، وكبير أحبارهم فى فلسطين فى قوله : « لابد لنا من الاستيلاء على القدس لأن فيها هيكل سليمان ، ولأن الصهيونية قضية دينية وسياسية معا » .

واليهود اليوم يستعدون لنقل وزارة خارجيتهم إلى القدس غير مبالين باحتجاجات بعض الدول العربية والأجنبية ، بل إن وزير خارجيتهم أذاع أخيراً أنهم رغم تلقيهم الاحتجاج من كثير من الدول ، فإن وزارة خارجيتهم ستنتقل إلى القدس حالما ينتهون من تشييد البناء الذى شرعوا فيه . وفى هذا من الاستخفاف والتحدى ما يثير الشعور ويستفز النفوس ، ولكن موقف الضعف والتخاذل الذى تقفه الدول العربية والإسلامية من هذه القضية ، وموقف الدول الاستعمارية خاصة ، والأمم المتحدة عامة من اليهود ، هو الذى يشجعهم ويزيد فى أطماعهم .

مطامعهم فى شبه جزيرة سيناء والدلتا من الأراضى المصرية

وليست مطامع اليهود قاصرة على فلسطين فحسب ، بل تتعداها إلى كثير من الأقطار العربية ، فقد بلغت بهم الوقاحة حد المطالبة بسيناء والدلتا من الأراضى المصرية . وهم يضفون هالة من القداسة على شبه جزيرة سيناء بزعم أن التوراة والكلمات العشر

نزلت فيها ، وان فيها كان التيه وغير ذلك من الذكريات الدينية والتاريخية . وعند ما زحف جيشهم عام ١٩٤٨ على سيناء ترجل الزاحفون من سياراتهم ومصفحاتهم وسجدوا على أرض سيناء مقبلين ثراها ، ثم استأنفوا زحفهم نحو مدينة العريش . . وقد ألف بعض زعمائهم عن سيناء كتباً أشادوا فيها بقداستها لديهم ونوهوا بأهميتها الجغرافية والاستراتيجية والاقتصادية ، وموقعها الخطير كحد فاصل بين قارتى آسية وأفريقية ، واستنادها على البحرين الأبيض والأحمر .

وهناك تقرير رسمى مفصل وضعته لجنة علمية فنية بريطانية أوفدها إلى شبه جزيرة سيناء عام ١٩٠٦ السر بنرمان رئيس وزارة بريطانيا حينئذ ، لدرس حالاتها الجوية والزراعية والاقتصادية ، وما فيها من معادن ومياه جوفية ومصادر ثروة عظيمة ، ومقدار ما تستوعبه من مهاجرى اليهود . . فلبثت تلك البعثة خمس سنين فى دراستها ثم قدمت تقريرها إلى الحكومة البريطانية .



وكذلك أرسلت الوكالة اليهودية إلى سيناء بعثة علمية عام ١٩٣٥ من قبل الجامعة العبرية التى أقاموها على جبل الزيتون بالقدس ، مهمتها بحث مقدار ماتستطيع سيناء استيعابه من اليهود الذين يرغبون فى استيطانها . ومن أغرب ماحدث أخيراً أن سكرتيرية الأمم المتحدة طبعت ووزعت خريطة للمنطقة التى استولى عليها اليهود من فلسطين ومعها شبه جزيرة سيناء ولونتهما بلون واحد وطبعت على الخريطة كلمة (إسرائيل) !

ولما استرعى نظر الأمم المتحدة إلى هذا الأمر قيل إنه خطأ مطبعى ! وما هو بخطأ ولكنها النية المبيتة والخطة المدبرة لمصر والعرب والمسلمين اجمعين « وما تخفى صدورهم أكبر » .

مطامعهم فى لبنان

وهم يطمعون فى ضم القسم الجنوبى من لبنان إليهم ، واضعين نصب أعينهم المشروع المسمى بمشروع « لوذرميلك » الذى يرمى إلى فتح قناة تبتدىء من مصب نهر الليطانى بين صيدا وصور فى الأراضى اللبنانية على شاطىء البحر الأبيض ثم تسير مع مجرى النهر شرقاً إلى بانياس فبحيرة الحولة فبحيرة طبرية مستخدمين مجرى نهر الأردن إلى البحر الميت ومنه يشقون القناة إلى البحر الأحمر .

مطامعهم فى سورية

أما مطامعهم فى سورية فحسبنا للدلالة عليها أن نذكر الحادثة التالية التى وقعت اثر احتلال الجيش البريطانى لسورية عام ١٩٤١ ، إذ عهد الانكليز إلى شركة مقاولات يهودية تدعى (سولل بونيه) بإنشاء جسر على الفرات فى « الرقة » فى شمال سورية ، فبعد الانتهاء من بناء الجسر حفر اليهود على قاعدته باللغة العبرية ما ترجمته ، (هنا تنتهى حدود إسرائيل الشمالية) ! ولا تزال هذه الكلمات مكتوبة على قاعدة الجسر المذكور .

مطامعهم فى شرق الأردن والعراق

ولهم فى شرق الأردن مطامع خطيرة أيضا فهم يعتبرونه القسم الشرقى من مملكة إسرائيل ، ويطالبون بجميع البلاد التى كانت واقعة تحت الانتداب البريطانى فى غرب الأردن وشرقه ، وكذلك مطامعهم فى العراق بدلالة ما هو مكتوب على حائط مجلس نوابهم الذى يسمونه (الكنيست) : من النيل إلى الفرات .



مطامعهم فى البلاد الحجازية

أما مطامعهم فى الحجاز فهى أشد خطورة من كل ما ذكرنا فهم يطالبون بالاستيلاء على مناطق خيبر وبنى النضير وبنى قريظة وبنى قينقاع وغيرها من المناطق التى أخرجوا منها فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . وقد بلغت بهم الوقاحة حد توسيط الرئيس روزفلت لدى الحكومة العربية السعودية للمطالبة بذلك ، فقام بهذه الوساطة عام ١٩٤٤ عارضاً عليها باسم اليهود عشرين مليون جنيه ذهباً مقابل السماح لليهود باستعمار تلك المناطق المحيطة بالمدينة المنورة . ولكن السلطات السعودية رفضت العرض بتاتاً . إلا أن اليهود مازالوا عند مطامعهم ، وقد أصبح الموقف خطيراً بعد أن قفز اليهود بمساعدة انكلترة من شاطىء البحر الأبيض إلى شاطىء البحر الأحمر عام ١٩٤٨ واحتلوا نقطة « المرشرش » الفلسطينية على خليج العقبة وأنشأوا فيها ميناء ومستعمرة لهم لاتزال تتسع ويشتد خطرها على البحر الأحمر الذى كان فى القرون الخالية بحراً عربياً إسلاميا خالصاً حتى أن الخلفاء العثمانيين كانوا يحظرون على السفن الأجنبية أن تمخر فيه خشية تعرضها للأماكن المقدسة الإسلامية فى الحجاز .

قحة كاتب يهودى أميركى

والميناء اليهودى القائم على خليج العقبة اليوم لا يبعد عن المدينة المنورة أكثر من ثلاثمائة وخمسين ميلا فى البر . أما إذا اشتد ساعدهم فى البحر وهو ما يعملون له جهدهم فالخطر يكون أعظم لأن المسافة بين « ينبع » والمدينة المنورة قريبة جداً . ولتقدير مبلغ هذا الخطر حسبنا أن نشير إلى مقال كتبه الزعيم اليهودى الأميركى « بن هيخت » فى جريدة نيويورك تايمس فى شهر أبريل من عام ١٩٤٨ بلغ به منتهى القحة بقوله مامعناه : إنه لاسبيل إلى التفاهم مع العرب إلا بإعداد حملة يهودية قوية تحتل المدينة وتفعل كذا وكذا بالضريح النبوى وحينئذ يبادر إلينا العرب أذلاء خشعاً يرجون التفاهم معنا . ! !

***



هذه نبذة من المطامع اليهودية بالغة الخطورة على البلاد العربية والأماكن المقدسة الإسلامية ، ولا يتسع المقام لبسط جميع الأخطار وشرح الخطة الرهيبة المبيتة لتحطيم كيان البلاد العربية وإذلال المسلمين والذهاب بكرامتهم وعزة نفوسهم ، وهى خطة لا تنحصر فى اليهود وحدهم بل يشاركهم فيها الاستعمار الأجنبى بصورة عامة ويتولى أمرها إنجلترا وأمريكا بصورة خاصة . فعلى العرب والمسلمين أن يفتحوا عيونهم على الأخطار الماحقة المحدقة بهم المهددة لكيانهم والتى تكاد تأتى على بنيانهم من القواعد . وليعلموا أنه لا نجاة لهم من هذه الأخطار الرهيبة إلا بالرجوع إلى الله العزيز القدير واستعادة الإيمان الذى فقدوه ، ووقف كل جهودهم بإخلاص وتصميم على إنقاذ بلادهم ومقدساتهم والتوسل بالوسائل الجدية الكفيلة بالفوز والنجاح .-

ليس المقصود من سرد هذه الأخطار إلا التنبيه والتحذير وفقاً لقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم » . واتخاذ الوسائل العملية وإعداد ما نستطيع من قوة لصد الأعداء ، وإحباط كيدهم ومكرهم : « ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله » .

ونحن نعتقد أن تشدد اليهود فى أطماعهم ، وغلوهم فى بغيهم وعدوانهم ، وماأنزلوه بفلسطين وأهلها من الظلم والطغيان الذى لم يعرف له التاريخ مثيلا بمساعدة إنجلترا والدول الاستعمارية الأخرى ، واستيلائهم على بلادهم وأراضيهم ومساجدهم ومعابدهم وبيوتهم وسائر ممتلكاتهم ، ونبذهم للقوانين الدولية المعروفة « بحقوق الشخصية » التى احترمتها جميع الدول والجيوش فى كل بلد من بلاد الأرض إلا فى فلسطين ، إن هذا البغى

والطغيان ، والغلوّ فى الطمع والعدوان ، جرح قلوب العرب والمسلمين فى الصميم ، وأثار مخاوفهم على مستقبل بلادهم . ومقدساتهم وكيانهم ، وحرّك فى نفوسهم العزة والنخوة والكرامة ، مما سيكون له أعظم الأثر فى نهضتهم ومقاومتهم ودرء الأخطار عنهم.

ولقد كانت الحملة الصهيونية والاستعمارية على فلسطين ضربة هائلة كان يخشى أن تقصم ظهور العرب والمسلمين لو استسلموا لليأس والخنوع ، ورضوا بالذل والهوان ، ولكنها بفضل الله ستكون الحافز ليقظتهم ونهضتهم، والحامل لهم على الأخذ بأسباب القوة واستخدام كل الوسائل لصد الصهيونية وتحطيمها ، واقتلاع الاستعمار الغاشم من جذوره وما ذلك على الله بعزيز .

« هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا، وظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار » . (صدق الله العظيم)

وطننا فلسطين

تعود الأخوة القراء أن يطالعوا فى كل عدد قطراً من الأقطار الإسلامية بالعرض والتحليل . وقد كنا نعتزم أن يكون قطرنا فى هذا العدد « فلسطين » ولكننا أرجأناه إلى العدد القادم بإذن الله مكتفين بمقال سماحة المفتى النفيس . حتى تتكرر التذكرة فلعل فى تكرارها عبرة . (التحرير)

وفد الإيمان في رحاب الله

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبى زهرة

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة فؤاد

١ — «وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق، ليشهدوا منافع لهم، ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام، فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير، ثم ليقضوا تفثهم[1] وليوفوا نذورهم، وليطوفوا بالبيت العتيق».

هذا نداء الله الأبدى، وأمره السرمدى، قد وجهه إلى المؤمنين فى بقاع الأرض قاصيها ودانيها، لا فرق بين عربى وأعجمى، ولا بين شرقى وغربى، ولا بين فقير مستطيع ولا غنى، إنه نداء الإيمان، ناداهم به الديان واستضافهم به الرحمن، فحق على كل قادر أن يجيب الدعاء، ويلبى النداء.

وإنكم أياهؤلاء الحجيج قد سابقتم إلى الإجابة، وسارعتم إلى الإنابة، فكنتم وفود أقوامكم إلى ساحة ربكم، فى واديه المقدس، وحرمه الأقدس، وأرضه الطيبة، وبقعته المباركة، وبيته العتيق، فقد قال وهو أصدق القائلين: «إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين، فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا».

فهو بيت الله، وبيت النبوة الأولى، وفيه رسوم النبيين، ومشاهد الصديقين، وهو منزل الوحى المحمدى، ومهبط الهداية القرآنية!

٢ — أى هؤلاء الحجيج، إذا وصلتم إلى تلك الساحة الربانية، فاذكروا فيها وحدة الشرائع المنزلة فى دعوتها إلى التوحيد، وإلى عبادة الله وحده، وأن هذا البيت فيه ذكراها؛ واذكروا فيها وحدة الإسلام، وأن هذا البيت فيه هداها، واذكروا كيف انبعث من ربوع مكة وفى حرم الله الآمن صوت محمد القوى الرهيب يقول: «لا إله إلا الله» اذكروا أن هذا البيت مظهر الوحدة الإسلامية وملتقى الجماعات

---

(١) التفث: الدرن والوسخ، وهو يشمل الحسى والمعنوى يشمل المضار الاجتماعية والآحادية، وكل ذلك يقطعه الحاج إذا أدى الحج على وجهه الصحيح.

المحمدية ، يتجه إليه المسلمون جميعاً خمس مرات فى صلاتهم ، حين يمسون وحين يصبحون ، عشيا وحين يظهرون ، وهم يحيطون به إحاطة الدائرة بمركزها ، فإذا تفرقت الأهواء فعنده المجتمع ، وإن تناءت الديار ففيه الملتقى ، وإن تباينت اللغات ، فقد جمع الجميع القرآن ، ووحدهم الفرقان ، وأضاءت القلوب هداية الرحمن .

٣ — أيها الحجيج : إنكم إذ تحلون بلاد الحجاز تحلون فى دار قوم مؤمنين سكنها سلفنا الصالح ، وحاربوا فيها الشرك حتى أزالوه حتى يئس الشيطان أن يعبد فى هذه البقعة الطاهرة . ولقد بزغ من هذه البلاد نجم الإسلام ، بل طلعت منه شمسه المشرقة وخرج منه جند الله وصفوة عباده يدعون إليه سبحانه حاملين كتاب الله بأيمانهم ، ونوره بين أيديهم ، ومعهم سيف الله يشقون به ظلمات الطاغوت واستبداد ذوى الجبروت ، ويقصمون به ظهر الجبابرة وأعدائهم ، ويكشفون به ظلمهم ، ويزيلون حكمهم ، ويخرجون الناس من ذل الاستبداد وفساد الطغيان ، ويدعونهم مختارين إلى حكم الديان وطاعة القرآن حتى يدخلوا أحرارا أبرارا فى دين الله ، من غير فتنة ولا إكراه ، ويكون التدين بقلوب مخلصة لله .

٤ — أى ضيوف الله فى بيته المحرم ، إنكم تؤدون أعظم فريضة تدعو إلى التعارف ، وتحث على التآلف وتجمع قلوب المؤمنين ، لقد ناداكم ربكم فأجبتم ، وأمركم فلبيتم ، وقلتم فى صوت جهير ضارع « لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » وأخذتم فى القيام بنسك الإسلام الأكبر ، كما قال تعالى : « لكل أمة جعلنا منسكاهم ناسكوه » فجعل الحج منسك الإسلام ؛ وهو يطوى فى ثناياه معانى كل العبادات ، فهو تطهير للروح وتهذيب للنفس ، وعلو بالملكات الإنسانية ، حتى إن من أدى الحج مخلصاً النية خاص من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، فقد روى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » أى أن صفحة نفسه تكون بيضاء نقية كيوم ولدته أمه .

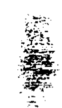
والحج فيه كل المعانى الاجتماعية التى دعا إليها الإسلام فهو اجتماع القلوب وتعارف الأرواح ، وهو المساواة بين الغنى والفقير ، والأمير والصغير ، والشرقى والغربى ، يتساوى فيه كل الناس ، وتمحى فيه الفروق بين الأجناس ، وإذا فرقت الألوان ، فقد تساوت الوجوه أمام الرحمن ، وإذا فرقت الثياب ، فقد سوى لباس الحج بين المؤمنين؛

ففي الحج الاخوة الجامعة ، والمساواة الموحدة ، والوحدة التي تجتمع فيها المعاني الإنسانية ، وتختفى فيها كل مظاهر الاختلاف الإقليمية ، وكل مظاهر الاختلاف المادية .

وفى الحج التعاطف والتراحم ، والتواد والتقارب ، يعطى الغنى الفقير ، ويكون معه على مائدة واحدة ، وطعام واحد ، فالجميع على مائدة الرحمن .

والحج فيه الأمن والدعة والسلام والاطمئنان ، تأمن فيه الأوابد فى بيدائها ، والطيور فى مسابحها ، فقد قال تعالى « يأيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ، ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم ، هديا بالغ الكعبة ، أو كفارة طعام مساكين ، أو عدل ذلك صياماً ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ، ومن عاد فينتقم الله منه ، والله عزيز ذو انتقام » .

٥ — أى وفد الله : إن الحج جهاد الإسلام السلمى ، وعدته الحربية لأن الوحدة عدة الإسلام ، وإن تلاقى القلوب واجتماع النفوس على محبة من الله ورضوان ، عدة القتال ، وقوة الدفاع ، وسلاح الجهاد ؛ ولحكمة من الله ، وفضل منه قرئت سورة الجهاد وهى سورة براءة فى الحج الأكبر ، فقد روى الثقات أن أبا بكر رضى الله عنه حج بالناس نيابة عن النبى أول حج فى الإسلام بعد أن صارت كلمة الله هى العليا بفتح مكة ، وذلك فى السنة التاسعة ، وفى أثناء القيام بمناسك الحج جاء على بن أبى طالب من قبل النبى صلى الله عليه يقرأ على الحجيج سورة براءة ، وهى سورة الجهاد ، والعهود .



فإذا كان لذلك الاقتران الزمنى معنى نفهمه ، فهو أن الحج له صلة بالجهاد ، ولذا عده النبي صلى الله عليه وسلم من الجهاد .

وليس الحج فى معنى الجهاد لأن فيه مشاق فقط ، بل هو فى معنى الجهاد لأنه يحقق الوحدة الإسلامية ويحميها ويدفع عنها الأذى ، وذلك هو مقصد الجهاد وغايته .

٦ — ولقد استفاضت الأخبار ، وتضافرت الآثار على أن الخلفاء الأولين كانوا يتولون إمرة الحج بأنفسهم ليُقَوّوا الوحدة ، ويجمعوا الكلمة ، ويتعارف المسلمون ، ويتلاقى المؤمنون ؛ ويكون من الحج المؤتمر الإسلامى الأكبر .

ولقد كان الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه يتخذ من الحج ذريعة لمعرفة حال الشعوب الإسلامية واستقرار الأمن بينهم ، وقيام الحكم بالعدل والقسطاس فيهم ؛ فيسأل المحكومين عن حكم الحاكمين ، وعن معاملتهم لمن هم فى ولايتهم من المسلمين والذميين ، وكان أول سؤال له عن الذميين ليعم العدل ربوع الديار الإسلامية ، فلا صلاح مع ظلم ، ولا فساد مع عدل .

ولقد كان العلماء يتخذون من موسم الحج مشرقا للعلم ، ومنبراً للعلماء ، فيتدارسون الأحاديث والآثار ، والأقيسة الفقهية ، والقواعد المصلحية . ويتبادلون ثمرات الفكر ؛ ففى موسم الحج يلتقى أبو حنيفة بالأوزاعى ومالك ، ويلتقى أحمد بالشافعى ، ويلتقى الليث بمالك ؛ وهكذا تتلاقى القلوب على روح من الله بالعبادة ، وتتلاقى الأفكار بأرسان من نور تحت ظل كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

٧ — أى وفود الرحمن ، إن الحج شعار الإسلام ونسكه ، لأنه شعار الوحدة الإسلامية ومظهرها ؛ وإن الحج ركن الإسلام ؛ لأن الوحدة الإسلامية ركن الإسلام ، ودعامة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؛ وإن الحج هو المذكر الدائم للمسلمين بأنهم أمة واحدة ، لهم ولاية واحدة ؛ فهو بمناسكه وشعائره يحقق المعنى السامى الكريم « إن هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاعبدون » فإذا التقيتم جميعاً فى المشعر الحرام ، وعند البيت الحرام ، وصعدتم إلى عرفات ؛ فاعلموا أن الله سبحانه وتعالى جمعكم فى تلك الأرض المقدسة ، لتتعارفوا ؛ ولتتبادلوا الأفكار فيما يرفع أمركم ، ويجعل الكلمة العليا لله سبحانه وتعالى ، ويجمع شملكم ، ويوحد شئونكم ؛ ولتكونوا أشداء على الكفار رحماء بينكم ، كما كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، إذ قال الله سبحانه وتعالى فيه وفيهم : « محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » ولتكونوا ممن يحبهم الله ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين .

٨ — أى ضيوف الله تعالى : إن المسلمين جميعاً يجب أن يكونوا تحت ولاية واحدة ، مهما تتباعد الديار ، وتختلف الأمصار ؛ وولايتنا قد جمعها الله سبحانه وتعالى بقوله مخاطباً المؤمنين إلى يوم الدين « إنما وليكم الله ورسوله والمؤمنون » وعلى ذلك أجمع العلماء من لدن وفاة النبى صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا ، فنحن جميعا أمة واحدة ، ومن خالف هذه الحقيقة فقد مرق من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، وخلع الربقة ؛ وأسلم قومه للذلة .

والولاية الإسلامية الموحدة تتقاضى المؤمنين جميعاً أن يكونوا إخوة لا يمنع الاخوة اختلاف اللون أو الجنس أو الإقليم ؛ فقد قال تعالى : « إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » .

ويتقاضى اتحاد الولاية نصرة المسلم أخاه المسلم مهما تتباعد الديار ، كما قال عليه الصلاة والسلام : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله » .

ويتقاضى اتحاد الولاية التعاون على كل ما هو خير ، ودفع كل ما هو شر ، وذلك ليتحقق أمر الله تعالى بقوله : « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » .

ويتقاضى اتحاد الولاية أن يكون للمسلمين وحدة نظامية جامعة ، ورابطة فعلية موثقة للاتحاد ، أو بعبارة أصرح إمرة إسلامية جامعة لا تتحد فيها الإدارة ، والنظم ، ولكن تتحد فى ظلها الغايات ، والمقاصد الإسلامية العالية ، تكون رمز الوحدة ، وشعار الاجتماع وموحدة للجهود ، يقف بها المسلمون كالبنيان المرصوص أمام من يريد لهم الشر ، ومن يرومهم بالأذى .

٩ — أيها المسلمون : لابد من هذه الإمرة العامة جامعة ، وإلا أكلتنا الذئاب العاوية ، واعلموا أن الفرقة التى نحن فيها اليوم هى امتداد للفتنة التى تنبأ بها النبى صلى الله عليه وسلم ، وتحدث عنها صحابته ، فقد روى مسلم عن حذيفة قال كنا عند عمر ، فقال أيكم سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الفتن ، فقال قوم نحن سمعناه ، فقال لعلكم تعنون فتنة الرجل فى أهله وجاره ؟ قالوا نعم ،قال تلك تكفرها الصلاة والصيام والصدقة . ولكن أيكم سمع النبى صلى الله عليه وسلم يذكر الفتن التى تموج كموج البحر ، قال حذيفة فأسكت القوم . فقلت أنا . قال أنت لله أبوك . قال حذيفة : سمعت النبى يقول : تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً ، فأى قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء ، وأى قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء ، حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا [1] فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض ، والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه وحدثته أن بينك وبينها باباً مغلقاً يوشك أن يكسر قال عمر أكسرا لا أبالك فلو أنه فتح لعله كان يعاد ! ! قلت بل كسرا .

وإن ذلك الباب الذى كسر ، فخرجت منه الجماعة إلى الفتنة هو التفرق الذى نحن فيه إلى الآن فهل لنا أن نرأب الصدع ، ونلم الشعث ، ونجمع المتفرق ، من غير أن نتعرض لذى ولاية فى ولايته ، إلا بمقدار ما يقيم العدل ويشد أزر الإسلام .

٩ — أيها المسلمون إننا من يوم أن تركنا وحدة الإسلام ، وفرقنا جماعته ، قد تحكمت فينا الأهواء والشهوات ، وصرنا نهبا مقسوما بين الأمم ، وصدق فينا قول

---

(١) الصفا جمع صفاء وهى الشىء الأملس المصقول الذى يكون له لمعان . والمرباد المغبر ، والمجخى المقلوب .

الرسول صلى الله عليه وسلم : « ما ظهر الغلول فى قوم إلا ألقى الله فى قلوبهم الرعب ، ولا فشا الزنى فى قوم إلا كثر فيهم الموت ، ولا نقص قوم المكيال والميزان إلا قطع عنهم الرزق ، ولا حكم قوم بغير حق إلا فشا فيهم الدم ، ولا ختر قوم بالعهد إلا سلط عليهم العدو » .

وقد حالت حالنا إلى هذه الحال فاقتسمتنا الأمم ، وناشتنا الذئاب ، جماعة بعد جماعة ولو اجتمعنا على نور الله لحطمنا الجبال ، وأذبنا الحديد .

لقد قسمنا أنفسنا ولايات ، وضعفت كل واحدة منها أمام عدو الله ، وتنمرت أمام الأخرى من المسلمين ، فصار بأسنا بيننا شديداً ، وصرنا كما وصف الله غيرنا « تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى » بل إننا تفرقنا فى المظهر والمخبر ، فهل من وحدة جامعة ، انشدوها فى مؤتمر الحجيج الأعظم ، واعملوا لها فى الاجتماع الأكبر كل عام .

١١ — اعلموا أيها المسلمون أن الإمرة الجامعة الفاضلة هى أمارة رضا الله ، والسلطان فى الأرض ، وأن الإمرة غير الفاضلة وراءها غضب الله والذلة فى الأرض ؟ ذلك هو الحد الفاصل بين الجماعات فى خيرها وشرها ، فقد قال عليه السلام : « إذا كان أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم سمحاءكم وأموركم شورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها ، وإذا كان أمراؤكم شراركم ، وأغنياؤكم بخلاءكم ، وأموركم إلى نسائكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها » .



وإننا إن لم نتدارك الحال ، آلت بنا إلى شر مآل ، وإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ؟ وليعمل أهل الحق لهداية من ضل وغوى ، وليأخذ الخاصة أنفسهم بالعمل لهداية العامة ، وليدعوا إلى الوحدة الجامعة بدعاية الله سبحانه وتعالى ولقد ورد فى الصحيح أن الرسول عليه السلام قال : « إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم ، وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروا فإذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة »

ونحن الآن فى هذا العصر قد قام المنكر علنا ولم ننكره ، وأى منكر أعظم من أن تتفرق الوحدة ، وتذهب الأمة ، وتتناثر إلى دويلات صغيرة تلقفها الأفاعى والثعالب وأى منكر أعظم من أن نعصى الله فى دعوته إلى الوحدة الجامعة إذ يقول :

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » ولكن تفرقنا فهل من اجتماع ؟ ثم دعا الداعى فهل من استماع « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

من علوم السنة

فى البيوع والكسب والمعاش وما يتعلق بالتجارة

لفضيلة الأستاذ الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا

(٣)

باب ما جاء فى الكسب بالزراعة وفضلها

(١) عَنْ سُوَيْدِ بْن هُبَيْرَة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : خير مال المرء مُهْرَة مأمورة[١] أو سكة[٢] مأبورة .

(٢) عن أَنَس بْن مَالِك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « مامن مسلم يَزْرَعُ زرعا ؛ أو يغرس غرساً ؛ فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلاّ كان له به صَدَقَة » .

(٣) عن جَابِر بن عَبْدِ الله رضى الله عنهما قال : حدثتنى أم مبشّر امرأة زيد بن حارثة قالت : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حائط[٣] ؛ فقال لك هذا ؟ فقلت نعم ؛ فقال مَنْ غرسه مسلم أو كافر[٤] ؟ قلت مسلم ؛ قال : مامن مسلم يزرع أو يغرس غرساً فيأكُلُ مِنْه طَائِرٌ أو إنسان أو سَبُعٌ أو شىء إلا كان له صدقة .

---

(١) قوله مهرة مأمورة : أى كثيرة النتاج .

(٢) سكة مأبورة : أى طريق مصطفة بالنخل ، وقوله مأبورة أى ملقحة ، والتأبير تلقيح النخل .

(٣) قوله فى حائط : الحائط البستان إذا كان عليه حائط وهو الجدار .

(٤) قوله مسلم أو كافر : للتنبيه على أن الكافر لايثاب على عمله الصالح فى الآخرة .

(٤) عن رجلٍ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول بأُذُنَيَّ هَاتيْنِ : « من نصب شجرة فصبرَ على حفظها والقيام عليها حتى تُثْمِر كانَ له فى كل شيء يُصَابُ[1] من ثمرتها صدقةٌ عند الله عز وجل » .

(٥) عن أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وعَلَى آله وسلم أنه قال : « مامن رجل يغْرِسُ غرساً إلا كتب الله عَز وجل له من الأجر قَدْرَ ما يَخْرُجُ من ثمر ذلك الغرس » .

(٦) عن أبى الدَّرْداء رضى الله عنه أن رجلا مرّ به وهو يغرس غرساً بدمشق فقال له : أتفعل هـذا وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال له : لا تعجل علىَّ سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : من غرس غرساً لم يأ كل منه آدمِيٌّ ولا خَلْقٌ من خلق الله عز وجل إلا كان له صدقة .

(٧) عن خَلَّادِ بْنِ السَّائِب عن أبيه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من زرع زرعاً فأ كل منه الطَّيْرُ أَوْ العَافِيَةَ[2] كانَ له به صدقة» .

باب ماجاء فى اتخاذ الغنم وبركتها ورعيها

(٨) عن أمّ هَانِىءٍ بِنْتِ أبى طالب رضى الله عنها . قال لها النبى صلى الله عليه وسلم : « اتخذِى غَنَمًا يا أمّ هانىء فإنها تَرُوح بِخَير وَتغْدُو بِخَيْر[3] » .

(٩) عن وهب بن كيسان قال مَرَّ أبى على أبى هريرة رضي الله عنه فقال :

---

(١) قوله يصاب من ثمرتها : أى يؤكل وينتفع به .

(٢) قوله أو العافية : يراد بها كل طالب رزق من إنسان أو بهيمة أو طائر .

(٣) قوله تروح بخير وتغدو بخير : أى تمسى بخير وتصبح بخير وهو ماتنتجه من اللبن والكثرة ما تلد فإنها فى الغالب تلد فى العام مرتين .

أين تريد ؟ قال غنيمة لى ؛ قال نعم . امسح رَغَامَهَا[١] وأطب مُرَاحِها[٢] وَصل فى جانب مَرَاحِها فإنها من دواب الجنة والتَمِسْ بها ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إِنها أَرْضٌ قليلَةُ المطر قال يَعنِى المدينة » .

(١٠) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « يُوشَكُ أن يكون خَيْرَ مَالِ الرَّجُلِ المسلم غنم يَتَّبعُ بِهَا شَعَفَ الجبال وَمَوَاقِعَ القَطْرِ[٣] يَفِرُّ بِدِينِهِ من الْفتن » .

(١١) عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « نَجْتَنِى الْـكَبَاث[٤] . فقال: عليكم بالأسود منه فإنه أَطْيَبُ . قال : قلنا . وكنت ترعى الغنم يا رسـول الله ؟ قال : نعم . وهلْ من نَبِىّ إلا وَقَدْ رَعَاهَا » .

(١٢) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: افْتَخَرَ أَهْلُ الْإِبلِ والغَنَم عند النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم . فقال : النبى صلى الله عليه وسلم . الفخر والخيلاء فى أهل الإبل[٥] . والسكينة والوقار فى أهل الغنم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بُعِثَ مُوسى عليه السلام وهُوَ يَرْعَى غَنماً على أهله ، و بعثت أنا ، وأنا أرعى غنما لأهلِى بِجيادِ[٦] » .

---

(١) قوله امسح رغامها : المراد بمسح رغامها المخاط الذى يسيل من أنفها أو مراده مسح التراب عنها .

(٢) قوله وأطب مراحها المراد تنظيف مكان راحتها .

(٣) قوله ومواقع القطر : أى مواضع نزول المطر وهى الأودية والصحارى فى الغالب .

(٤) قوله نجتنى الـكباث : المراد به هو الناضج من ثمر الأراك .

(٥) أى تكون هاتان الصفتان وهما الفخر والخيلاء موجودتين عند الذين تكثر عندهم الإبل ويتمولونها .

(٦) قوله بجياد مكان فى مكة معروف هناك .

المستقبل للاسلام

(١)

للاستاذ سيد قطب

عندما نتحدث عن النظام الاجتماعى الإسلامى ، فنحن لانتحدث عن نظام تاريخى عاش فى الماضى ، وأصبح إحدى ذكريات التاريخ ... إنما نتحدث عن نظام حى ، وننظر فى صوره وأوضاعه كما يمكن أن تـكون الآن أوفى المستقبل .

كذلك نحن لانتحدث عن هذا النظام بوصفه نظاماً محليا ، فى حدود مايعرف اليوم باسم « العالم الإسلامى » إنما نحن نتحدث عنه بوصفه نظاماً عالمياً ، يمكن أن تتجه البشرية كلها إليه بحكم أنه النظام الوحيد ، الذى يملك أن يلبى حاجات هذه البشرية فى حدود أوسع ، وإلى آماد أطول ، من كل نظام عرفته الإنسانية حتى هذه اللحظة .

يقول الفيلسوف الإنجليزى المعاصر « برتراند رسل » :

« لقد انتهى العصر الذى يسود فيه الرجل الأبيض — وبقاء تلك السيادة إلى الأبد ليس قانوناً من قوانين الطبيعة — وأعتقد أن الرجل الأبيض لن يلقى أياماً رضية كتلك التى لقيها خلال أربعة قرون »[١] .

وهى نبوءة صحيحة على ضوء الوقائع التى تتمخض عنها هذه الأيام ، وعلى ضوء التجارب الإنسانية فيما سلف من حضارات ، وعلى ضوء الحقائق الأساسية للحياة البشرية .

لقد انتهى العصر الذى يسود فيه الرجل الأبيض ، لأن حضارة الرجل الأبيض قد استنفدت أغراضها ، ولم يعد لديها ماتعطيه للبشرية من مبادىء وأفكار تسمح للحياة بنمو جديد ، وتطور جديد : وكل حضارة إنما تعيش بمقدار ماتملك أن تعطى البشرية من رصيد فى إدراك الحياة ، وبمقدار ما يسمح هذا الرصيد للحياة بالامتداد والنمو والترقى .

ولقد كانت مبادىء الثورة الفرنسية : « الحرية والإخاء والمساواة » هى آخر ما أثمرته حضارة الرجل الأبيض فى الغرب ، ولم تثمر بعد ذلك شيئاً ذا قيمة فى عالم المبادىء والمثل والأفـكار . ولقد أدت مبادىء الثورة الفرنسية دورها فى العالم الغربى

(١) جريدة الأهرام بتاريخ ٩ أغسطس سنة ١٩٥١

وانتهت إلى غاياتها التى كانت تعنيها فى إبانها .. ولـكن هذه الغايات كانت محدودة بفترة معينة من الزمن ، وبآفاق محدودة من المدلولات ، فلم تعد تلبى اليوم حاجات البشرية ، ولم تعد مراميها التى قصدت إليها حينذاك تلبى مفاهيم البشرية لهذه الألفاظ ذاتها فى القرن العشرين !

كان مدلول كلمة الحرية فى الثورة الفرنسية هو الحرية الشخصية فى كل ميدان من ميادين الحياة ! وكان هذا المفهوم يلبى حاجة أوربا فى ذلك العصر ، لأنه ينقذ الفرد من تحكم الـكنيسة فى حياته الروحية ، ومن تحكم الأشراف فى حياته العملية ، ومن تحكم الدولة فى حرياته القانونية ... ولـكن شيئاً فشيئاً أخذت الحرية المطلقة للأفراد تؤذى المجتمع أو تؤذى طبقات كبيرة فى هذا المجتمع وببروز العهد الرأسمالى بكل مقوماته كثمرة من ثمرات الحرية ، تبين أن الحرية الفردية ذاتها قد أصبحت وهما لاحقيقة له فى عالم الواقع . بل تحولت إلى حرية الاستغلال : استغلال رأس المال للطبقات العاملة ! ولم يعد بد من نشوء مفهوم جديد لـكلمة الحرية غير المفهوم الذى عنته الثورة الفرنسية أو اعتناق مبدأ جديد غير مبدأ الحرية .. وفى كلتا الحالتين يبدو أن هذا المبدأ بمفهومه فى الثورة الفرنسية قد استنفد أغراضه ، ولم يعد علك أن يكون مؤثراً إيجابياً فى حياة البشرية ! ولقد بهت مدلول هذا المبدأ فى فرنسا ذاتها اليوم ، فأصبح لايعنى سوى حرية الشهوة الغريزية على النحو الذى تميزت به « الوجودية » .



وكان مدلول كلمة المساواة فى الثورة الفرنسية هو المساواة فى الحقوق السياسية والحقوق القانونية التى تـكفل لـكل فرد حقوقاً متساوية فى الانتخابات وأمام القانون فى التقاضى . وكان هذا المفهوم يؤدى للحياة البشرية فى أوربا خدمة كبيرة إذ ذاك . لأنه يخضع الـكنيسة ويخضع الأشراف للمحاكم المادية وللقوانين العادية التى يقف أمامها أفراد الشعب ، كما يخضعهم للضرائب العامة ، ويقضى على تلك الامتيازات التى كانت تعطى نظام الطبقات معنى كريها وصورة تزرى بالقيمة الإنسانية للـكثرة العظمى من الجماهير ... ولـكن شيئاً فشيئاً أخذ يبدو أن هذه المساواة القانونية لايمكن تحقيقها فى عالم مادى حين تختل الموازين الاقتصادية ، وحين ينقسم الناس إلى ملاك ورأسماليين فى جانب ، وعمال ضعفاء أمام رأس المال من جانب آخر . فتولد علاقات الإنتاج نوعا من الضغط تتهاوى أمامه تلك الحقوق النظرية التى يكفلها القانون النظرى للجميع . وبذلك يسقط مبدأ المساواة ، ويصبح لابد لتحقيقه فى عالم كالعالم الغربى من ضمانات أخرى غير الضمانات القانونية النظرية ، ضمانات اقتصادية وعلاقات إنتاج أخرى غير التى كانت تقوم على مبدأ « الحرية » ... ومعنى هذا أن مبدأ « المساواة » حسب

مدلوله فى الثورة الفرنسية قد استنفد أغراضه ، ولم يعد يملك أن يكون مؤثراً إيجابياً فى حياة البشرية .

وأما مبدأ « الإخاء » فلم يكن له يوماً ما مدلول حقيقى فى العالم الغربى . لأنه يحتاج فى تحقيقه إلى عنصر آخر غير المادة . يحتاج إلى روح ، وإلى ضمير ، كما يحتاج إلى فكرة أخرى عن الحياة وعن البشرية غير الفكرة المادية التى تسيطر على أوربا منذ أيام الرومان والتى لم تستطع المسيحية أن تؤثر فيها تأثيراً يذكر .

وبذلك ظل مبدأ « الإخاء » منذ اليوم الأول مسألة نظرية ، تقال فى الخطب وتكتب فى الصحف والكتب . ولكن مدلولها العملى بعيد عن واقع الحياة . إذ أن الشعور بالأخوة الإنسانية مسألة أكبر من ثورة محلية ، لاتتورع فى ذات الوقت عن الغزو والاستعمار لمجرد المغانم المادية والامتيازات الاقتصادية .

إن الشعور بالأخوة الإنسانية معناه الخروج من دائرة القومية الضيقة ، والعنصرية المتعصبة ، وهذا مالم تحاوله أوربا يوماً ... وبذلك لم تعد كلمة « الإخاء » أن تكون كلمة براقة فى مبادىء الثورة الفرنسية .



ثم عقمت أوربا وأمريكا أن تعطى الناس شيئاً جديداً فى هذا الحقل ، واتجهت إلى الحقل المادى الصناعى تبدع فيه جديداً كل يوم .

ولكن البشرية لاتستطيع أن تعيش طويلا على إنتاج المصانع وحده . إنما هى فى حاجة ملحة دائمة إلى مبادىء وأفكار جديدة ، تسمح لها بالنمو والامتداد والتحول والترقى فى حدود هذه المبادىء والأفكار .

ولقد انتهت الحضارة الأوربية الأمريكية إلى أن تقصر همها على نتاج المصانع ، أما فى حقل المبادىء فإنها ظلت تجتر مبادىء الثورة الفرنسية التى فقدت مدلولاتها .

هنا برزت الفكرة الشيوعية أو فكرة التفسير المادى للتاريخ ، لأنها تحتل فى عالم المبادىء مساحة أوسع من المساحة التى انتهت إليها مبادىء الثورة الفرنسية فى العالم الغربى ، وتشغل الجماعات الإنسانية بهدف أكبر من الهدف الفردى المحدود ، الذى تمثله « الوجودية » فى فرنسا مثلا ، أو فكرة المنفعة العملية التى تمثلها فلسفة « البراجماتزم » فى أمريكا . ذلك أنها الآن تشغل هذه الجماعات بتحقيق هدف عام — هو سيادة طبقة العمال . ومن ثم فهى تعمل حلماً بشرياً أكبر من حياة الأفراد ، وأشمل من شهوات الأفراد ومهما يكن هذا الحلم صغيراً ومحدوداً بالقياس إلى عظمة الحياة الإنسانية وامتدادها ، فهو حلم على أية حال . . حلم لم تعد الحضارة الغربية تتضمن مثله بعد أيام الثورة الفرنسية ومن هنا هذا الاندفاع العنيف فى صفوف الأوربيين إلى

الشيوعية . حتى من أولئك الذين لايجدون فى معداتهم طعم الجوع ، ولا يحسون فى جلودهم لذعة العرى . ولكنهم آدميون يحسون الخواء المطلق فى حضارة الرجل الأبيض ، ولايجدون فيها الغذاء النفسى والفكرى الذى لاتقوم بنية الإنسانية إلا به .

والإنسان هو الإنسان منذ نشأ ، إنه فى حاجة إلى عقيدة تعمر قلبه . عقيدة تفسر له الحياة وتربط بينه وبينها ، وتشغله بما هو أبعد من شخصه وأكبر من ذاته على نحو من الأنحاء ... فما أن فرغت حضارة الرجل الأبيض فى أوربا وأمريكا من هذا الزاد واستحالت فى عالم المادة انتاجا ، وفى عالم الإنسان متاعا ، تيقظت فى نفسه تلك الجوعة إلى مبدأ عام يربطه بالحياة كلها ، وإلى فكرة عامة يكافح لتحقيقها ، وتلفت فيما حوله فلم يجد إلا الشيوعية ، تلبى فى نفسه هذه الحاجة الملحة ، وتمثل فى الوقت ذاته الخطوة الطبيعية التالية للحضارة الغربية المادية .

والشيوعية هى الامتداد الطبيعى للفكرة المادية عن الحياة ، وهى الفكرة التى اعتنقها العالم الغربى منذ قيام حضارته على أساس الحضارة الرومانية المادية ، ثم ازدادت حدة منذ أيام « فرنسيس بيكون » أبى الطريقة المادية التجريبية ، التى لاتؤمن إلا بما تقع عليه الحواس ، أو تثبته تجارب المعمل وهى امتداد لقدرة الحواس .



والاختلاف بين فكرة الشيوعية والأفكار السائدة فى الغرب الآن ليس اختلافا فى طبيعة التفكير ، إنما هو اختلاف فى مدى التفكير وطريقة التنظيم . فالفكرة المادية عن الحياة واحدة . ولكن الفرق هو بين حرية الاستثمار المطلقة فى أمريكا والمقيدة أو المؤممة كما فى انجلترا ، وبين ملكية الدولة لكل شىء ، وانعدام حرية الاستثمار كما فى روسيا . . . أما سيادة طبقة العمال فهى ذلك الحلم الشيوعى الذى لم يتحقق بعد فى روسيا ذاتها . فكل ماتم حتى اليوم هو تحطيم طبقة الملاك ، وصيرورة الملكية العامة إلى الدولة ، أما طبقة العمال فلا تملك سلطة ، ولا تملك شيئا ! إنما هى مسخرة مجندة للعمل فى نظير الكفاية من الطعام والشراب والسكنى والكساء ، ولا تزال الشيوعية تحمل هـذا الحلم الذى يجذب الملايين لأنه بالقياس إلى الخواء الفارغ فى الحضارة الغربية — حلم كبير ! !

والدليل على أن الغربيين إنما تسحرهم الشيوعية بهذا الحلم أكثر مما تحقق للأفراد من منفعة ذاتية هو أن الذين يعتنقون الشيوعية فى أمريكا ويروجون لها ، ليسوا فى الغالب من طبقة العمال الفقراء ، وإنما هم من المثقفين أصحاب الآراء . وهى ظاهرة لفتت نظرى هناك ، ثم وجدت تفسيرها فى أن الغالبية العظمى من الأمريكان لا تجد دافعا اقتصاديا حقيقيا لاعتناق الشيوعية ، لأن مستوى الأجور ومستوى الكسب ومستوى الحياة بصفة عامة لا يجعل للشيوعية هناك سحرا ولا بريقا ، لأنها لا تمنح العامل الأمريكى شيئا

ذا قيمة فى حياته بينما تسلبه أشياء كثيرة يعتز بها ، ومزايا حقيقية يفقدها . فأما المثقفون الأمريكان فهم أكثر إحساسا بالجوع النفسى والفكرى وأكثر إحساسا بخواء الحضارة المادية الغربية من هذا الغذاء الإنسانى الذى لا يستغنى عنه أبدا ، ولو أوهم نفسه أنه لا يريد هـذا الغذاء .

ولما كان الأمريكى والغربى بوجه عام لا يعرف فكرة أخرى تشغل مكان العقيدة فى نفسه إلا فكرة الشيوعية فهو يندفع إليها بشعور الجائع الهارب من ذلك الخواء الفكرى والروحى القاتل الذى يعيش فيه .

فأما حين تتغير الظروف الاقتصادية فى أمريكا — كما تغيرت فى أوروبا — فإن الشيوعية ستندفع بعنف فى أمريكا كما اندفعت فى أوروبا . لأن الخواء الروحى ستضاف إليه الضرورات المعيشية دون أن تكون هناك فكرة أخرى تقاوم الفكرة الشيوعية وهذا هو المستقبل الطبيعى المنظور فى العالم الغربى كله . والامتداد الطبيعى المتوقع لسيطرة الفكرة المادية على الحضارة الغربية . . . إن الشيوعية هى النهاية الطبيعية لحضارة خالية من الروح ، خاوية من المثل ، مجردة من الأحلام .



وهذا التغيير منتظر ومتوقع ، وأمريكا سائرة إليه بحكم اضطرارها للتسلح الذى يستغرق مبالغ ضخمة تنفق على حساب الرخاء الفردى قطعا . وبحكم اضطرارها إعانة أوربا ، ودفع الأتاوات لها لتبقى فى صفها فى صورة مشروع مارشال ومن قبله قانون الإعارة والتأجير ، وبحكم اضطرارها كذلك للانفاق على ما تسميه البلاد المتأخرة فى صورة النقطة الرابعة من مشروع ترومان . . . وكل هذه المشروعات تستنفد من الميزانية الأمريكية الشىء الكثير . وإذا كانت هذه الميزانية تنهض اليوم بهذه الأعباء فإنها قد بدأت تعجز فعلا وترهق الاقتصاد الأمريكى بأعباء تؤثر فى مستوى المعيشة . وبذلك يختل التوازن بين قوة الجاذبية الشيوعية وقوة المقاومة الأمريكية ، وهو ما ينتظر بين فترة وأخرى . وهو ما يدعو أمريكا لاستعجال الحرب عسى أن تتخلص من عدوتها الأولى روسيا ، وتخفض بعد ذلك من ميزانية التسلح ومن ميزانية المشروعات الضخمة الخطيرة ! .

على أية حال ، فإن الشيوعية هى النهاية الطبيعية لحضارة أوربا المادية : والإنسان الغربى يجد اليوم فى الشيوعية من غذاء العقيدة مالا يجده فى مخلفات حضارته التى استنفدت أغراضها . ولم يعد فيها رصيد من هذا الزاد الضرورى لروح الإنسان فى كل زمان ومكان .

ورجل مثل « برتراندرسل » يرى أن المستقبل للشيوعية ، لا فى العالم الذرى

ولكن كذلك فى آسيا فيقول : « إن الروسى هو الرجل الأبيض الوحيد الذى تسنح له الفرصة لنشر نفوذه فى آسيا . والشعوب الإسيوية تمقت الاستعمار الأبيض . وهم لايعتقدون أن للكرملين غايات استعمارية لأنهم لم يجربوه بينما رزحوا أجيالا طويلة تحت سلطان الرجل الغربى ، وأصبحوا يكرهون تلك التجربة . ولهذا لست أعتقد أن للدول الغربية فرصة فى آسيا . ولكنى أعتقد أن الهند قد تعيش فى توافق مع العالم الغربى . أما العالم العربى بما فيه مصر والباكستان فستنحاز إلى المعسكر الشيوعى[1] »

ونحن نخالف الفيلسوف فى هذا القسم من نبوءته . ذلك أنها إنما تنبع من ضميره الأوربى ومن تجاربه الأوربية . ومن جهله بطبيعة الفكرة السائدة فى هذا القسم من العالم — أعنى الأمة المسلمة التى ذكر منها مصر والباكستان .

فالشيوعية — كما قلنا — هى الامتداد الطبيعى لفكرة الحضارة الأوربية المادية ، وهى تمتاز على تلك الحضارة اليوم بأن فيها حلماً — مهما تكن طبيعته وقيمته ، فإن تلك الحضارة خلو من مثله ، وهو حلم للكثرة الغالبة التى لا تجد من حضارة الغرب ما يشغل من نفسها مكان العقيدة ، فوق ما تجد من فوارق اجتماعية واقتصادية ، تحطمها الشيوعية أو تعد بتحطيمها ، وإن كانت قد اضطرت إلى إعطاء امتيازات ضخمة لطبقة المهندسين ، وامتيازات أخرى لرجال الفن الذين يلبون حاجة الدولة ! فأما الأمر فى الكتلة الإسلامية ، فيختلف اختلافاً جوهرياً ، ولا سبيل فيه لتطبيق التجارب الأوربية لاختلاف طبيعة الحضارتين ، وطبيعة الفكرتين السائدتين واختلاف التاريخ والرواسب النفسية والأفكار والأحلام .

إن الشيوعية بما فيها من حلم مادى يشغل مكان العقيدة فى نفس الغربى ، وبما فيها من لون من ألوان العدالة الاقتصادية بالقياس إلى الرأسمالية السائدة فى العالم الغربى . تصلح أن تلبى حاجات العالم الغربى فى هذه الفترة القريبة من حياته ، وتصلح أن تلبى حاجات الشعب الصينى أو الشعب الكورى وأمثالهما من الشعوب التى ليست لها مثل إنسانية أكبر من المثال الذى تحطمه الشيوعية . . . وذلك إلى حين . . أى إلى أن يتم لها الخلاص من قبضة الرأسمالية الاستعمارية ، وإلى أن يقع التوازن الاقتصادى فى مجتمعاتها المختلفة التوازن . فأما بعد تحقق هذه الأحلام المادية القريبة ، والتخلص من ضغط الواقع الاجتماعى السيء ، فأغلب الظن أن الروح الإنسانية ستستيقظ لطلب المزيد ، لأنها إذ ذاك ستحس بالخواء الذى تستشعره النفس الأوربية اليوم فى حضارتها المادية !

---

(١) المصدر السابق .

وهذا ما نتوقع أن يحدث فى روسيا نفسها بعد جيل واحد أو أجيال قليلة . فالشيوعية باعترافها لا تحمل حلماً أبعد من سحق الطبقة البرجوازية ، وتسويد طبقة العمال فى العالم . وذلك فى الوقت الذى تطمس فى الروح البشرية كل أحلامها الأخرى ، وتقطع كل علاقاتها بالكون والحياة ، وتغلق كل منافذها إلى السماء وتحارب الروح الدينية كما تحارب المخدرات !

وما دام الحلم الذى تحمله الشيوعية حلماً أرضياً واقعياً محدوداً فى عالم الزمان ، فإنها ستفقد كل سحرها يوم تحققه ، وتفقد قدرتها على قيادة روسيا ذاتها وقيادة العالم الغربى نفسه إلى الأمام — ودعك من الإنسانية كلها ، وهى لا تستجيب كما قلنا إلا افكرة أبعد من الواقع ، وحلم يلوح على الأفق للتحقيق .

والرخاء المادى والحضارة الصناعية لا يكفيان وحدهما لملء ذلك الفراغ فى النفس الانسانية ، بدليل أن مثقفى الأمريكان يندفعون اليوم إلى الشيوعية . وبدليل أن الحضارة الصناعية فى ذروتها هناك ولكنها لا تكفى لصد التيار الشيوعى .



وإذن فلابد للبشرية ـ حتى فى أرض الحضارة المادية وحتى فى معسكر الشيوعية ـ من فكرة أكبر من فكرة الشيوعية ، وأهداف أبعد من أهداف الشيوعية ؟ وحلم يتراءى فى الأفق ، تهدف البشرية إلى تحقيقه ، وبذلك تسير . وبذلك تتقدم . وبذلك تعيش .

إن جوعة الجسد تلح على صاحبها ليسدها أولا . هذا مسلم به . ولكنها بعد أن تهدأ تتحرك فى الكائن الإنسانى جوعة أخرى لا يسدها الطعام ، ولا يرويها الشراب ، ولا يكفيها الكساء ، ولا تسكنها كل لذائذ الجسم وشهواته . إنها جوعة من نوع آخر لا بد لها من هدف إنسانى أكبر من الذات ومن صلة بالكون أشمل من البيئة ، ومن عقيدة فى قوة أكبر من البشرية ، ومن مستقبل دائم النمو لا يقف عند حد محدود .

فإذا اطلعت الإنسانية على نظام يحمل مثل هذه الفكرة ، ويتضمن مثل هذه العقيدة ، وفى ذات الوقت يتضمن لها عدالة اجتماعية دائمة متجددة ، لا تقف عند تسويد طبقة على طبقة ، ولا عند حدود الاكتفاء المادى ، إنما تدع الحياة متجددة أبداً مترقية أبداً ، متصلة بعد هذا كله بالسماء . . . إذا اطلعت الإنسانية على نظام كهذا فذلك حلمها الدائم الذى لا يدركه النفاد .

وهذا ما يجعلنا نخالف الفيلسوف الغربى فيما هداه إليه ضميره الغربى ، وما يجعلنا نعتقد بقوة أن المستقبل فى أرض الإسلام للاسلام . وأن المستقبل فى الأرض كلها كذلك للاسلام .

(للبحث بقية)

خاطرة :

موكب السلام

يبحث الناس عن السلام . . .

وصفحات التاريخ مملوءة بمحاولات السلام ، ومؤتمرات السلام . وطلابنا لا يزالون يدرسون ميثاق بريان كيلوج ، وبروتوكولات جنيف ، وميثاق هيئة الأمم ! . . . ولكن الدنيا بالرغم من كل ذلك لا تسير من حرب إلا إلى حرب ... وهى ذى تقف على شفا جرف هار يكاد ينهار بها فى أتون حرب عاتية ! !

أين هذا السلام؟

ولماذا فشلت كل محاولات السلام ؟ ؟

***

ليس السلام ثوبا يضفى على الإنسانية من خارج ، ولكنه حالة تسود حياة الناس حين يسلم الإنسان من شر نفسه فتصبح نفسه سلاما عليه ، وحين يسلم الإنسان من شر الإنسان فيصبح الناس سلاما بعضهم على بعض ، وحين تقوم فى الأرض مجموعة من هذا الطراز السليم : « طراز الإنسان الذى تسلم نفسه ويسلم الناس من شره » . . .

والحج يحقق ذلك كله فى أسلوب رائع عجيب !

الحج توبة يغتسل بها الحاج من كل ذنبه ، ويفر بها إلى الله فى ندم وشوق ، فهتافه الدائم « لبيك اللهم لبيك » ، وجزاؤه عند الله ما جاء فى الحديث الصحيح « من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » وهكذا يتطهر الحاج ، وتشف روحه ، وتسلم نفسه ، وذلك أول السلام !

ومطلع مناسك الحج « الإحرام » ، ومعناه أن يلبس الحجاج جميعا ثوبا واحدا يلغى فوارق المظهر فى أعين الناس ، حتى يراقبوا عين الله وحدها التى تزن الناس بميزان آخر من معانى الحق والصدق والنور . . .

وإذا أحرم الحاج حرم عليه أن يقص ظفرا أو شعرا أو يقتل صيدا أو يرفث أو يفسق أو يجادل . . . فهو سلام على كل ما حوله . . . وهكذا يدربه الحج عمليا على معانى السلام . . .

ويرمى الحاج الجمار ، ومعنى ذلك أنه يرمى الشر والشيطان ، وذلك توحيد لمعركة الحياة . . أى أن الشر والشيطان هما هدف سهم المسلم لا يفتنه عن ذلك شهوة ولا حمية ولا زينة الحياة الدنيا ؛ وهكذا ينقذ الحج فكرة السلام من نوازع الهوى . . .

وللرمى معنى آخر : وهو أن الشر لا يكبح بالخطابة والدعاء ولكن بالرمى والجهاد . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قويا حين يرمى حتى ليظهر بياض إبطه المبارك . . . ؛ وهكذا يسلح الحج فكرة السلام : « فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله » ، وهذا أحدث ما أدركته العقلية الدولية فى « السلم المسلح » . . . ولكنه سلاح وراءه سلاح قوى من التجرد للحق . . وراءه الإسلام ! !

مناسك الحج

فى المذاهب الأربعة

لفضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف

مفتى الديار المصرية

« نهدى هذا البحث المسهب إلى حجاج هذا العام من قراء « المسلمون » ، وإلى غيرهم ليحتفظوا به حتى يسعدهم الله بأداء الفريضة . إن دراسة المناسك صعبة على من لم يشهد معالم الأرض المقدسة ولكنها تسهل حين يصحبك هذا البحث — بإذن الله . وأنت تتنقل فى أنحائها » .

التحرير

على مريد الحج أو العمرة أن يعرف أولا مناسكهما معرفة تامة حتى لا يترك واجباً أو يفعل محظوراً ، وحتى يأتى بالنسك على الوجه المشروع .

ولما كان من غير الميسور لكل إنسان أن يقف على المناسك من كتب فقهاء المذاهب خصوصاً فى وقت أدائها الضيق . وضع المغفور له والدنا الأستاذ الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوى المالكى شيخ الشيوخ بالأزهر بياناً سهلا من المذاهب الأربعة لم يسبق إليه بجميع شعائر الحج والعمرة وأحكامها ومحظوراتها وما يلزم فى ذلك بحيث يتيسر لكل حاج أو معتمر أن يصحبه أثناء سفره وحال إقامته وأن يراجعه بسهولة كدليل يتعرفها منه . فوضع أعمال الحج والعمرة فى الصحائف اليمنى وبيان أحكامها فى المذاهب الأربعة فى الصحائف اليسرى مراعياً ترتيب هذه الأعمال بترتيب السير المشروع بحيث يرى الناظر فيه كأنه سائر فى مواقف الحج والعمرة موقفاً موقفاً ومرحلة مرحلة . ووضع على يسار هذه الجداول ملاحظات تدعو الحاجة إليها .

وحين قصدت الحج فى هذا العام بدأت فى تدوين ما أحتاج إليه من أحكام المناسك فرأيت بعد المراجعة والاستقصاء أنى فى غنية عن التدوين بما بينه الأستاذ الوالد رحمه الله فى (دليل الحاج) وأنه خير ما كتب فى المناسك من حيث السهولة والدقة والأحاطة بأحكام المذاهب .

وإلى قراء (المسلمون) أعز الله بهم الإسلام جداول هذا الدليل الجليل الذى لم يسبق إليه مؤلفه بمثيل والله المستعان .

ينبغى لمريد الإحرام قبل الدخول فى حرمات الحج والعمرة أن يبدأ بالأمور الآتية :

١ إزالة الشعث عند إرادة الإحرام كقلم أظفاره وقص شاربه وتسريح لحيته ونحو ذلك مما قد يتأذى المحرم ببقائه بعد الإحرام .

٢ وغسل متصل بالإحرام متقدم عليه بلا فصل طويل ولو لحائض أو نفساء .

٣ وتجرد الرجل قبل الإحرام فى سائر بدنه من المحيط بخياطة أو نسج أو صياغة .

٤ ولبس إزار ورداء ونعلين كنعال التكرور أى هذه الهيئة فى حق الرجل .

٥ والتطيب فى بدن أو ثوب بأى نوع من أنواع الطيب كالمسك والعود والبخور وماء الورد.

٦ وصلاة ركعتين بعد الغسل وقبل الإحرام .

٧ والإحرام وهو نية أحد النسكين أو هما معاً مفردا أو قارناً أو متمتعاً .



٨ ومن الميقات المقرر لأهل كل جهة .

٩ وتجرد الرجل على الوجه المار يصير بالإحرام .

١٠ والتلبية بعد الإحرام إلى أن يدخل مكة ، واتصالها به بلا فصل طويل كل منهما .

١١ والاقتصار على تلبية الرسول صلى الله عليه وسلم وهى: لبيك اللهم لبيك لبيك لاشريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك .

١٢ وإعادتها بعد الطواف والسعى بالمسجد الحرام إلى أن يصل إلى مصلى عرفة بعد الزوال من اليوم التاسع .

١٣ والتوسط فى علو صوته بها وفى موالاتها والاكثار منها والدعاء بعدها ، كل منها .

١٤ وتجديدها لتغير حال كقيام وقعود وصعود وهبوط وخلف صلاة وملاقاة رفاق .

١٥ والغسل عند دخول مكة لغير حائض ونفساء .

١٦ ودخوله مكة نهاراً من باب المعلى ، ودخول المسجد من باب السلام ، وبدؤه بطواف العمرة إن كان معتمراً ، وطواف القدوم إن كان مفردا أو قارنا كل منها .

١٧ وطواف القدوم إن أحرم من الحل ولم يخش فوات الوقوف بفعله ، ولم يردف الحج على العمرة بحرم .

١٨ وابتداؤه من الحجر الأسود المركوز فى الركن الذى قبل باب البيت .

١٩ وكونه سبعة أشواط من الحجر إلى الحجر عند الأئمة الثلاثة ، وأربعة عند الحنفية .

رقم	حنفى	مالكى	شافعى	حنبلى	ملحوظات
١	سنة	سنة	سنة	سنة	المراد بالسنة المذكورة فى هذا الجدول ما يشمل المستحب .
٢	سنة	سنة	سنة	سنة	وله أن يتدلك فى هذا الغسل ويزيل الوسخ بخلاف الاغتسالات بعد الإحرام ، وبالمدينة اغتسل النبى صلى الله عليه وسلم وتجرد ولبس ثوبى إحرامه ، ولما وصل لذى الحليفة ركع وأهلّ .
٣	سنة	سنة	سنة	سنة	
٤	سنة	سنة	سنة	سنة	
٥	سنة	مكروه	سنة	سنة	السنة عند الحنيفة التطيب فى البدن دون الثوب ، وعند الحنابلة يكره تطييب الثوب .
٦	سنة	سنة	سنة	سنة	
٧	شرط	ركن	ركن	ركن	
٨	واجب	واجب	واجب	واجب	وفى تعدى الميقات حلالا هدى
٩	واجباً	واجباً	واجباً	واجباً	وفى ترك التجرد فدية
١٠	شرط	واجب	سنة	سنة	وفى تركها أو ترك اتصالها مع الطول هدى عند القائل بالوجوب وبالشرطية إذا انعقد الإحرام بدونها من قول أو فعل متعلق به .
١١	سنة	سنة	سنة	سنة	
١٢	سنة	واجبة	سنة	سنة	السنة عند الحنابلة والحنفية إعادتها إلى رمى جمرة العقبة ، وعند الشافعية إلى الشروع فى التحلل ، وفى ترك إعادتها هدى عند المالكية .
١٣	سنة	سنة	سنة	سنة	
١٤	سنة	سنة	سنة	سنة	
١٥	سنة	سنة	سنة	سنة	وعند الحنفية والشافعية يسن الغسل لداخل مكة ولو لحائض أو نفساء .
١٦	سنة	سنة	سنة	سنة	
١٧	سنة	واجب	سنة	سنة	وفى تركه هدى عند المالكية ، ويسن عند الشافعية لحلال وحاج دخل مكة قبل الوقوف وللآفاقى دون غيره عند الحنفية .
١٨	واجب	واجب	واجب	واجب	
١٩	شرط	شرط	شرط	شرط	والثلاثة الباقية منه عند الحنفية سنة ، وترك الشرط

٢٠. وكونه متواليا بلا فصل كثير .

٢١. ومشى لقادر كالسعى .

٢٢. وتقبيل الحجر الأسود أوله ، وفى كل شوط بلا صوت أن قدر ، وإلا فيلمسه بيده ثم يضعها على فيه وإلا فبعود كذلك .

٢٣. والتكبير مع كل من التقبيل ، ووضع اليد أو العود على الفم داعياً مصلياً على النبى صلى الله عليه وسلم .

٢٤. واستلامه الركن اليمانى بيده أن قدر ثم يضعها على فيه .

٢٥. ونصب المقبل أو اللامس للحجر والمستلم للركن قامته قبل تحريك قدمه للطواف .

٢٦. ورمل الرجل فى الأشواط الثلاثة الأولى إلا لازدحام .

٢٧. وجعل البيت حين الطواف عن يساره .

٢٨. وخروج كل البدن عن الشاذروان وحجر اسماعيل عليه السلام ، وكل منهما .

٢٩. والطهارة من الحدث والخبث وستر العورة كالصلاة كل منهما .

٣٠. والدعاء أثناء الطواف بما يحب من طلب علم وعافية وتوفيق وسعة رزق بلا حد .

٣١. وقطعه لصلاة فريضة مع إمام راتب لم يصلها أو صلاها منفرداً وبنى على ما فعله من طوافه بعد سلامه .

٣٢. والدعاء بعد الفراغ من الطواف بالملتزم ، وهو ما بين الحجر الأسود وباب البيت .

٣٣. وصلاة ركعتين بعد الفراغ منه .

٣٤. وإيقاعهما خلف المقام بحيث يكون المقام بينه وبين الكعبة .

٣٥. وتقبيل الحجر الأسود بعدها وقبل الخروج من المسجد إلى السعى .

٣٦. والسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط منه البدء مرة والعودة أخرى .

٣٧. والطهارة من حدث وخبث .

٣٨. والبدء بالسعى من الصفا .

٣٩. ووقوعه بعد طواف مطلقا واجبا أو ركنا أو نفلا .

٤٠. وموالاته فى نفسه بلا تفريق كثير .

٤١. والموالاة بينه وبين الطواف .

رقم	حنفى	مالكى	شافعى	حنبلى	ملحوظات
					هنا كترك أصله ، أو فيه دم عند القائل بالسنية نظرا إلى القول بأنه يجب بالشروع .
٢٠	سنة	شرط	سنة	شرط	
٢١	واجب	واجب	سنة	واجب	وفى تركه هدى عند القائل بوجوب الطواف
٢٢	سنة	سنة	سنة	سنة	وفى تركه هدى عند القائل بالوجوب
٢٣	سنة	سنة	سنة	سنة	
٢٤	سنة	سنة	سنة	سنة	
٢٥	واجب	شرط	واحب	شرط	وتركه كتركه أصله
٢٦	سنة	سنة	سنة	سنة	
٢٧	واجب	شرط	واجب	شرط	وتركه كتركه أصله ، وفيه دم عند الحنفية على القول بأن الواجب بالشروع كالواجب الأصلى
٢٨	واجب	شرط	واجب	شرط	وتركه كتركه أصله ، وفيه دم عند الحنفية على القول بأن الواجب بالشروع كالواجب الأصلى راجع المسألة السادسة
٢٩	واجب	شرط	شرط	شرط	وطهارة الخبث عند الحنفية سنة فى الطواف مطلقا ، وأما الطهارة من الحدث ففيها تفصيل
٣٠	سنة	سنة	سنة	سنة	
٣١	جائز	واجب	جائز	جائز	وفيه الإثم فقط أن استمر عند القائل بالوجوب
٣٢	سنة	سنة	سنة	سنة	
٣٣	واجب	واجب	سنة	سنة	وفى تركهما هدى عند المالكية
٣٤	سنة	سنة	سنة	سنة	
٣٥	سنة	سنة	سنة	سنة	
٣٦	واجب	ركن	ركن	ركن	وفى تركه هدى عند القائل بوجوبه
٣٧	سنة	سنة	سنة	سنة	
٣٨	واجب	شرط	شرط	شرط	وفى تركه هدى عند الحنفية، راجع ذيل المسألة السادسة
٣٩	واجب	شرط	شرط	شرط	فان لم يتقدمه طواف أصلا بطل على الشرطية وأهدى على الوجوب ، ووقوعه بعد طواف واجب أو ركن واجب عند مالك يجبر بالدم
٤٠	واجبة	شرط	سنة	واجبة	
٤١	سنة	واجبة	سنة	سنة	الواجب عند الشافعية عدم الفصل بينهما بالوقوف بعرفة

٤٢ والمشى فيه مع القدرة .

٤٣ وتقديمه على الوقوف بعرفة إن طلب منه طواف القدوم .

٤٤ وتأخيره لما بعد طواف الإفاضة إن لم يجب قدوم ، بأن أحرم من الحرم أو خشى بفعله فوات الوقوف ، أو أردف الحج على العمرة بحرم .

٤٥ والإسراع بين الأخضرين فوق الرمل ودون الجرى ، ورقىُّ رجل عليهما كالمرأة إن خلا الموضع ، والدعاء بالصفا والمروة كل منها .

٤٦ وخطبة الإمام يوم السابع بعد صلاة الظهر بمكة ، يعلم الناس فيها المناسك والخروج بعد الزوال من مكة لمنى يوم التروية . وهو اليوم الثامن من ذى الحجة قدر ما يدرك بها الظهر قصرا فى وقتها المختار كل منهما .

٤٧ وبياته بمنى ليلة التاسع إلى أن يصلى الصبح ، وسيره منها لعرفة بعد طلوع الشمس يوم التاسع ، ونزوله بنمرة إذا وصل إليها قبل الزوال ليصلى بها الظهر والعصر قصرا مع الإمام بمسجدها ثم يذهب إلى عرفة . وخطبة بمسجد عرفة بعد الزوال وقبل صلاة الظهر يعلم الإمام فيها المناسك إلى طواف الإفاضة كل منها .

٤٨ والوقوف بعرفة يوم التاسع ولو لحظة فى أى جزء منها ولو مارا من طلوع فجر



اليوم التاسع عند الحنابلة ، ومن الزوال عند الأئمة الثلاثة إلى طلوع فجر يوم النحر عند الكل .

٤٩ والطمأنينة فى الوقوف بقدر الجلسة بين السجدتين قائما أو جالسا أو راكبا .

٥٠ والوقوف بجبل الرحمة متوضئا بعد صلاة الظهرين جمعا وقصرا ، والدفع مع الإمام ، والدعاء ، والتضرع للغروب كل منها .

٥١ ونزوله بمزدلفة بقدر حط الرحال ، وصلاة العشاءين ، وتناول شىء من أكل أو شرب .

٥٢ وجمع العشاءين بها تأخيراً إن وقف مع الإمام ، وإلا فكل لوقته .

٥٣ وقصر العشاء لجميع الحجاج إلا أهل مزدلفة وإلا أهل منى وعرفة فى محالهم .

٥٤ وبياته بها ، وارتحاله منها بعد صلاة الصبح بغلس ، كل منهما .

٥٥ والوقوف بالمشعر الحرام (جبل بآخر مزدلفة يسمى قزح) مستقبلا للدعاء والثناء على الله تعالى للاسفار .

٥٦ والإسراع ببطن محسر (واد بين المشعر الحرام ومنى) .

٥٧ ورمى جمرة العقبة بمنى من طلوع فجر يوم النحر إلى الغروب .

رقم	حنفى	مالكى	شافعى	حنبلى	ملحوظات
٤٢	واجب	واجبة	سنة	واجب	وفى تركه هدى
٤٣	سنة	واجبة	جائز	واجب	وفى تركه هدى عند القائل بالوجوب
٤٤	سنة	واجبة	جائز	واجب	وفى تركه هدى عند القائل بالوجوب
٤٥	سنة	سنة	سنة	سنة	
٤٦	سنة	سنة	سنة	سنة	السنة عند الحنابلة الخروج قبل الزوال
٤٧	سنة	سنة	سنة	سنة	
٤٨	ركن	ركن	ركن	ركن	والجمع بين الليل والنهار لحظة واجب عند الحنفية والحنابلة ، سنة عند الشافعية ، والركن عند المالكية يبتدىء من الغروب والواجب لحظة من الزوال إلى الغروب وينتهى عند الجميع بطلوع فجر يوم النحر ، وفى ترك الواجب هدى
٤٩	سنة	واجبة	سنة	سنة	
٥٠	سنة	سنة	سنة	سنة	
٥١	واجب	واجب	سنة	سنة	فإن لم ينزل بها قدر ما ذكر فهدى عند القائل بالوجوب
٥٢	واجب	سنة	سنة	سنة	وفى تركه هدى عند القائل بالوجوب
٥٣	واجب	سنة	سنة	جائز	وفى تركه هدى عند القائل بالوجوب
٥٤	سنة	سنة	واجب	واجب	الواجب عند الشافعية المكث بها ولو لحظة من النصف الثانى من الليل ، وعند الحنابلة المبيت إلى نصفه ، وفى تركه هدى
٥٥	واجب	سنة	سنة	سنة	وفى تركه هدى عند القائل بالوجوب
٥٦	سنة	سنة	سنة	سنة	
٥٧	واجب	واجب	واجب	واجب	والليل فما بعده إلى غروب اليوم الرابع قضاء عند المالكية . ووقت أدائه عند الحنفية يمتد إلى طلوع الفجر ، وعند الشافعية يدخل وقته بنصف ليلة النحر إلى آخر أيام التشريق الثلاثة وحل به كل شيء غير النساء والصيد ، وكره الطيب وهو التحلل الأصغر ، وبطواف الافاضة حل ما بقى من نساء

٥٨ وكونه من طلوع الشمس إلى الزوال .

٥٩ وكونه بحجر كحصى الخذف قدر الفولة أو النواة لاصغيراً جداً .

٦٠ وكونه بسبع حصيات سبع مرات على الجمرة ، وهى البناء وما حوله لاإن جاوزتها ، أو وقعت دونها ، كل منهما .

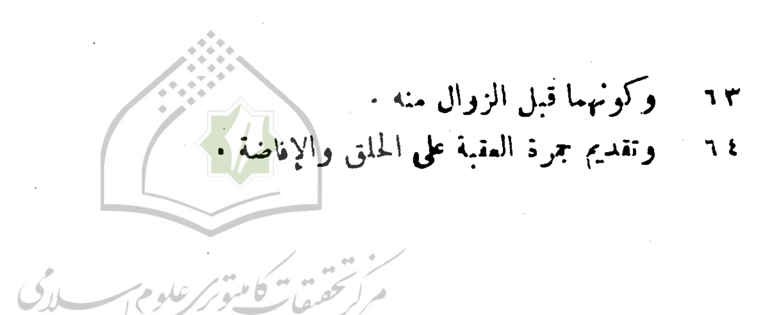
٦١ ورميه وإن راكبا حين وصوله لها بسبع حصيات يلتقطها من المزدلفة ، والتكبير مع كل حصاة من العقبة وغيرها من باقى الأيام ، وتتابع الحصيات بالرمى بحيث لايفصل بينهما بشاغل من كلام أو غيره ، كل منها .

٦٢ والذبح ، والحلق أو التقصير ، كل منهما فى يوم النحر .



٦٣ وكونهما قبل الزوال منه .

٦٤ وتقديم جمرة العقبة على الحلق والإفاضة .



٦٥ وتقديم النحر أو الحلق على الإفاضة كتقديم الرمى على النحر والنحر على الحلق ، كل منها .

٦٦ والنزول من منى إلى مكة يوم النحر لطواف الإفاضة عقب الحلق بلا تأخير إلا لقضاء حاجة .

٦٧ وطواف الإفاضة كطواف القدوم فى واجباته وسننه وشروطه .

٦٨ ووقوعه بعد طلوع فجر يوم النحر كرمى جمرة العقبة .

٦٩ وفعل طواف الإفاضة عقب الحلق بلا تأخير .

٧٠ ووقوعه قبل حلول شهر المحرم .

٧١ ورجوعه للمبيت بمنى فوق العقبة يوم النحر بعد طواف الإفاضة ثلاث ليال إن لم يتعجل وليلتين إن تعجل قبل الغروب من اليوم الثانى من أيام الرمى .

٧٢ ورمى الجمرات الثلاث الأولى والوسطى وجمرة العقبة من الزوال إلى الغروب كل يوم بعد يوم النحر بسبع حصيات يلتقطها من أى محل .

٧٣ وترتيب الجمرات بأن يبدأ بالأولى التى تلى مسجد منى ثم الوسطى ثم العقبة .

رقم	حنفى	مالكى	شافعى	حنبلى	ملحوظات
					وصيد إن حلق وكان قد رمى جمرة العقبة أو فات وقتها وقدم سعيه وإلا فلا يحل إلا بالسعى وهذا هو التحلل الأكبر
٥٨	سنة	سنة	سنة	سنة	
٥٩	شرط	شرط	واجب	شرط	وكونه قدر الفولة لاصغيراً جداً سنة عند الشافعية وفى تركه هدى ، وعند الشافعية يدخل وقت الرمى بنصف ليلة النحر لمن وقف قبله
٦٠	شرط	شرط	واجب	شرط	
٦١	سنة	سنة	سنة	سنة	
٦٢	واجب	واجب	واجب	واجب	الواجب عند الشافعية فى هذا اليوم الذبح دون الحلق وفى التأخير عنه هدى ، وأصل الحلق أو التقصير عندهم بمعنى إزالة ثلاث شعرات أو تقصيرها ركن لا ينجبر بالدم
٦٣	سنة	سنة	سنة	سنة	
٦٤	واجب	واجب	سنة	جائز	الواجب عند أبى حنيفة تقديم الرمى على الذبح والحلق كتقديم الذبح على الحلق ، وعند الحنابلة ليس بين الرمى والنحر والحلق والافاضة ترتيب ، وفى تأخير الرمى عن الافاضة هدى ، وعن الحلق فدية عند مالك
٦٥	سنة	سنة	سنة	جائز	
٦٦	سنة	سنة	سنه	سنة	
٦٧	ركن	ركن	ركن	ركن	إلا أن الثلاثة أشواط الباقية واجبة فى هذا الطواف سنة فى غيره عند الحنفية
٦٨	شرط	شرط	شرط	شرط	الشرط عند الشافعية والحنابلة وقوعه بعد نصف ليلة النحر لمن وقف قبله
٦٩	سنة	سنة	سنة	سنة	
٧٠	واجب	واجب	سنة	سنة	الواجب عند الحنفية وقوعه فى أيام النحر وفى تأخيره عنها دم
٧١	سنة	واجب	واجب	واجب	وفى تركه هدى
٧٢	واجب	واجب	واجب	واجب	وفى تركه هدى
٧٣	سنة	شرط	شرط	شرط	فلو نكث أو ترك بعضاً منها ولو سهواً لم يجزه وأعادها مرتبة وإلا فدم ، والمراد بالشرط فى هذا الجدول مايشمل الواجب وما يتوقف عليه صحة الشىء

٧٤ ووقوفه أثر الأولين للدعاء والثناء على الله تعالى مستقبلا للبيت قدر إسراع سورة البقرة لمن توفر خشوعه .

٧٥ ورميها أثر الزوال قبل صلاة الظهر بدون تأخير ، ونزول غير المتعجل بعد رمى جمار اليوم الثالث بالمحصب ليصلى به الظهر والعصر والمغرب والعشاء كل منهما .

٧٦ وتأخير طواف الإفاضة بعد أيام الرمى والنحر والحلق .

٧٧ وطواف الوداع للخارج من مكة لـكميقات من المواقيت أو لما حاذاه أو للطائف أو لأبعد من ذلك .

٧٨ وزيارة النبي صلى الله عليه وسلم .

٧٩ والعمرة – وأركانها ثلاثة : إحرام . وطواف . وسعى كما مر فى الحج عند الأئمة الثلاثة ، وأربعة بزيادة الحلق عند الشافعية .

٨٠ والجمع فى إحرامها بين الحل والحرم كـكل إحرام ، وخروج المعتمر إلى الحل إن أحرم بها فى الحرم كل منهما .

٨١ والتحلل منها بالحلق أو التقصير بعد السعى .

٨٢ وتـكرارها فى العام الواحد ، وأوله المحرم .

٨٣ ولبس الأنثى حال الإحرام محيطا بكفها كقفاز وكيس أو أصبع من أصابع يدها إلا الخاتم .

٨٤ وإدخالهما فى كمها وقميصها وجلبابها .

٨٥ وستر وجهها أو بعضه بنقاب أو لثام أو برقع أو خمار أو منديل إلا لفتنة أو إرادة ستر عن أعين الناس بلا غرز للساتر أو ربطه .

٨٦ ولبس الرجل محيطا بأى عضو من أعضائه إما بخياطة كالقميص والسراويل والجبة والقفطان والقفاز والخف والنعل أو بصياغة كخاتم بيده أو طوق فى عنقه أو حلقة بأذنه أو بنسج كدرع حديد أو ثوب نسج محيطا أو لبد لصق على صورته ، وإما بنفسه كجلد حيوان سلخ بلا شق .

٨٧ وستر الرجل وجهه أو رأسه بمحيط أو غيره كعمامة أو طاقية أو خرقة يسدلها أو عصابة يربطها أو طين أو عجين من كل مايعد ساترا .

٨٨ وعقد الإزار أو تزريره أو تخليله بعود ونحوه أو ربطه بتكة أو حزام .

٨٩ وعقد الرداء أو تزريره أو تخليله أو ربطه كذلك .

٩٠ والارتداء أو الائتزار بجبة أو قميص يلقيه على كتفيه أو يلف به وسطه أو التلفع ببردة مرقعة أو ذات فلقتين .

٩١ ولبس الرجل لخف لفقد نعل أو غلوه فاحشا أو لضرورة كشقوق برجليه إن قطع أو ثنى أسفل من كعب .

٩٢ والاحتزام بثوب أو غيره لعمل .

٩٣ والتقلد بسيف ونحوه لضرورة .

	حنفى	مالكى	شافعى	حنبلى	ملحوظات
٧٤	سنة	سنة	سنة	سنة	
٧٥	سنة	سنة	سنة	سنة	
٧٦	مكروه	مكروه	مكروه	مكروه	والكراهة عند الحنفية للتحريم فيجب فيه دم
٧٧	واجب	سنة	واجب	واجب	وعند الحنفية واجب على غير أهل مكة ، وفى تركه هدى عند القائل بالوجوب
٧٨	سنة	سنة	سنة	سنة	وهى من أعظم القربات راجع المسألة السابعة عشرة والثامنة عشرة
٧٩	سنة	سنة	واجب	واجب	وفى تركها هدى عند القائل بالوجوب
٨٠	واجب	واجب	واجب	واجب	وفى تركه هدى
٨١	واجب	واجب	ركن	واجب	
٨٢	سنة	مكروه	سنة	سنة	
٨٣	محظور	محظور	محظور	جائز	وفيه الفدية عند القائل بالحظر
٨٤	جائز	مكروه	جائز	جائز	وعند الشافعية لها أن تسترها بكم أو خرقة ولو بشد عليها
٨٥	محظور	محظور	محظور	محظور	وفيه الفدية
٨٦	محظور	محظور	محظور	محظور	وفيه الفدية إلا الخاتم فجائز عند أبى حنيفة
٨٧	محظور	محظور	محظور	محظور	وفيه الفدية وعند الشافعية له ستر وجهه بغير محيط
٨٨	جائز	محظور	جائز	جائز	وفيه الفدية عند مالك
٨٩	جائز	محظور	محظور	محظور	وفيه الفدية
٩٠	جائز	جائز	جائز	جائز	
٩١	جائز	جائز	جائز	جائز	
٩٢	جائز	جائز	جائز	جائز	وعند الحنفية والشافعية يجوز الاحتزام مطلقاً لعمل أو غيره
٩٣	جائز	جائز	جائز	جائز	ولغير ضرورة لا يجوز عند مالك ولكن لا فدية فيه ما لم تكن علاقته عريضة أو متعددة وإلا ففيه فدية وعند الحنفية لا شىء فيه مطلقاً



٩٤ والتظلل ببناء أو شجر أو خيمة أو محمل .

٩٥ واتقاء شمس أو ريح أو مطر أو برد بيد أو بمرتفع كثوب يرفع على عصا أو شمسية بلا لصوق .

٩٦ وحمل شيء على رأسه لحاجة تتعلق به أو بدوابه أولغيره بأجرة لمعاشه .

٩٧ وشد منطقة بوسطه على جلده لنفقة على نفسه وعياله ودوابه وإضافة نفقة غيره تبعا لها .

٩٨ وشدها بعضد أو فخذ ما لم يكن عادة قوم .

٩٩ وشدها لا لنفقته ولو فارغة أو نفقة الغير أو فوق إزاره .

١٠٠ وابدال ثوبه الذى أحرم فيه بثوب آخر ولولاذاية قمل ونحوه .

١٠١ وغسل بدنه بماء لتبرد أو لنجاسة لا لإزالة وسخ .

١٠٢ وغسله بماء أو مع صابون ونحوه لإزالة وسخ بدلك .

١٠٣ وغسل ما تحت أظفاره لإزالة وسخ أو يديه ولو بنحو صابون ، وغمس رأسه بماء لغير غسل مطلوب وجوبا أو ندبا مع تخفيفه بقوة ، وغسل ثوبه بالماء أو مع صابون ترفها أو لوسخ أونجاسة أن تحقق عدم الدواب ، وغسله بالماء فقط لنجاسة مع تحقق وجود القمل ونحوه أو الشك فيه كل ذلك .

١٠٤ وغسله ترفها أو لوسخ مع تحقق وجود القمل أو الشك فيه بماء فقط أو مع صابون .

١٠٥ وغسله لنجاسة بصابون ونحوه مع تحقق وجود القمل أو الشك فيه .

١٠٦ وحك ماخفى من بدنه كرأسه وظهره برفق خوفا من قتل قملة ونحوها .

١٠٧ وحك ما ظهر له ولو بشدة إذا لم يكن فيه قمل .

١٠٨ وبط دمل أو جرح لاخراج ما فيه من نحو قيح بعصره أو وضع لصقة عليه .

١٠٩ وفصد لحاجة إذا لم يعصبه .

١١٠ وفصد لغير حاجة ولم يعصبه .

١١١ وعصب فصده أو جرحه أو دمله أو رأسه لحاجة سواء كان فصده لحاجة أم لا .

١١٢ وعصب ما ذكر لغير حاجة .

١١٣ ولصق خرقة كبرت بجراح وجهه أو رأسه لحاجة ووضع قطنة بأذنه أو قرطاس بصدغه لحاجة .

١١٤ وشم طيب خفي أثره بأن لم يكن له جرم يعلق بالجسد أو الثوب كريحان وياسمين وورد وسائر أنواع الرياحين .

١١٥ ومسه ومكث بمكانه واستصحابه فى متاعه .

١١٦ ومكث بمكان فيه طيب ظهر أثره بأن كان له جرم يعلق بالثوب أو البدن كمسك وعطر واستصحابه وشمه بلا مس .

١١٧ ومسه وإن لم يعلق بيده منه شيء أو أزاله سريعاً أو كان فى كحل أو طعام أو دهن لم يطبخ .



رقم	حنفى	مالكى	شافعى	حنبلى	ملحوظات
٩٤	جائز	جائز	جائز	جائز	وعند الحنابلة التظلل فى المحمل ونحوه محظور وفيه الفدية
٩٥	جائز	جائز	جائز	جائز	وعند الحنفية والشافعية يجوز مطلقاً بلصوق أو غيره
٩٦	جائز	جائز	جائز	جائز	وعند الحنفية والشافعية يجوز ولو لغير حاجة إلا أن يكون المحمول ثيابا فلا يجوز عند الحنفية للتغطية وعند الشافعية مالم يقصد الستر والاحرام ، وفيه الفدية
٩٧	جائز	جائز	جائز	جائز	والحنفية والشافعية يجوزون شدها مطلقا على جلده أو فوق أزراره أضاف نفقة الغير تبعاً لها أم لا
٩٨	جائز	مكروه	جائز	جائز	وعند الأئمة الثلاثة يجوز مطلقاً كان عادة قوم أم لا
٩٩	جائز	محظور	جائز	جائز	
١٠٠	جائز	جائز	جائز	جائز	
١٠١	جائز	جائز	جائز	جائز	
١٠٢	جائز	محظور	جائز	جائز	وفيه الفدية عند مالك
١٠٣	جائز	جائز	جائز	جائز	
١٠٤	جائز	محظور	جائز	محظور	وفيه الفدية عند القائل بالحظر
١٠٥	جائز	محظور	جائز	محظور	وفيه الفدية عند القائل بالحظر
١٠٦	جائز	جائز	جائز	جائز	
١٠٧	جائز	جائز	جائز	جائز	وعند الحنفية يجوز مطلقاً
١٠٨	جائز	جائز	جائز	جائز	
١٠٩	جائز	جائز	جائز	جائز	
١١٠	جائز	مكروه	جائز	مكروه	
١١١	جائز	جائز	جائز	جائز	وفيه الفدية عند مالك
١١٢	جائز	محظور	جائز	جائز	وفيه الفدية
١١٣	جائز	جائز	جائز	جائز	وفيه الفدية عند مالك ولو كان لغير حاجة
١١٤	جائز	مكروه	جائز	مكروه	ويحرم عند الشافعية إذا اتصل بأنفه وفيه الفدية
١١٥	جائز	جائز	جائز	جائز	والجواز عند الشافعية مقيد بما إذا لم يعلق منه شيء بالمحرم
١١٦	جائز	مكروه	جائز	جائز	الجواز عند الحنابلة والحنفية مالم يشمه قصداً
١١٧	جائز	محظور	جائز	محظور	وفيه الفدية عند القائل بالحظر والجواز عند الحنفية مالم يقصد منه التطييب ، وعند الشافعية مالم يعلق باللامس



١١٨ وتطيب فى بدن أو شعر أو ثوب بطيب خالص أو ممزوج بدهن لغير ضرورة .

١١٩ ودهن شعر رأس أو وجه بدهن غير مطيب كزيت وزبد وسمن ودهن جوز ونحوه لغير ضرورة .

١٠ ولبس ثوب مزعفر أو مورس أو معصفر وتبخيره بعود أو نحوه .

١٢١ ونوم المحرم أو جلوسه أو وقوفه فى فراش مطيب بلا حائل .
١٢٢ ونزع ما أصابه من إلقاء ريح أو غيره مطلقا أو من خلوق الكعبة إن كثر .

١٢٣ ونزع ما بقى من الطيب قبل الإحرام إن كان له جرم قل أو كثر .

١٢٤ والتضمخ بالحناء المعروف لغير عذر .



١٢٥ واستعمال الكحل المطيب لغير ضررة

١٢٦ واستعمال الكحل المطيب لضرورة حر أو برد ونحوه .
١٢٧ واستعمال غير المطيب لضرورة أولا .

١٢٨ والحجامة بلا عذر إن لم تزل شعراً لرجل أو امرأة .
١٢٩ والحجامة لعذر سواء أزالت شعراً أم لا .

١٣٠ والحجامة إن أزالته مع كونها لغير عذر .
١٣١ وإزالة الشعر لغير عذر عن البدن مطلقا بحلق أو نتف لرجل أو امرأة .

١٣٢ وتساقط شعر لوضوء أو غسل مطلوب أو لركوب دابة .

١٣٣ وقلم الظفر واحداً أو أكثر لغير عذر .
١٣٤ وقتل القمل وطرحه لا لإماطة الأذى .

رقم	حنفي	مالكي	شافعي	حنبلي	ملحوظات
١١٨	محظور	محظور	محظور	محظور	وعند مالك فيه الفدية ولو لضرورة قل أو كثر وعند الحنفية أن طيب عضواً كاملا ففيه الفدية وفي الثوب إن كثر عرفاً أو زاد على شبر في شبر وإلا أطعم
١١٩	محظور	محظور	محظور	جائز	وتجب الفدية عند مالك في ذلك وفي دهن سائر البدن ولو كان لضرورة إلا إذا دهن باطن كفيه وقدميه لشقوق فلا فدية عليه والحظر والفدية عند الحنفية خاص بزيت الزيتون والسمسم في ذلك وفي سائر الجسد أيضاً ولضرورة لا فدية فيه ولا صدقة عندهم
١٢٠	محظور	محظور	محظور	محظور	والعصفر عند الحنابلة والشافعية ليس بطيب فلا شيء فيما صبغ به .
١٢١	محظور	محظور	محظور	محظور	وفيه الفديه .
١٢٢	واجب	واجب	واجب	واجب	وخير في نزع يسيره لضرورة القرب من الكعبة ولا شيء فيه ، وعند الشافعية يجب نزعه مطلقا قل أو كثر .
١٢٣	واجب	واجب	جائز	واجب	وفيه الفدية عند القائل بالوجوب والفدية عند الحنفية إذا كان بثوبه دون بدنه .
١٢٤	محظور	محظور	جائز	محظور	وعند الحنفية إذا خضب رأسه أو لحيته أو خضبت المرأة رأسها أو يديها بحناء رقيق فعليه دم واحد وبثخين عليه دمان للطيب وللتغطية إن دام يوما وليلة على جميع رأسه أو ربعه والتخضب لعذر جائز وفيه دم .
١٢٥	محظور	محظور	محظور	محظور	وعند الحنفية اذا اكتحل مرة أو مرتين فعليه صدقة ومازاد ففيه دم .
١٢٦	جائز	جائز	جائز	جائز	وفيه الفدية .
١٢٧	جائز	جائز	جائز	جائز	ولا شيء فيه ، وعند مالك إذا كان لغير ضرورة لا يجوز ، وفيه الفدية .
١٢٨	جائزة	مكروهة	مكروهة	مكروهة	
١٢٩	جائزة	جائزة	جائزة	جائزة	وعليه فدية إن أزالت كثير الشعر وإلا فإطعام راجع المسألة الحادية عشرة .
١٣٠	محظورة	محظورة	محظورة	محظورة	وعليه الفدية أو الإطعام كما تقدم .
١٣١	محظورة	محظورة	محظورة	محظورة	وعليه الفدية أو الإطعام ، ولعذر كذلك وإن جازت إزالته .
١٣٢	جائز	جائز	جائز	جائز	وفيه صدقة عند الحنفية نصف صاع من بر أو صاع من تمر أو شعير ولا شيء فيه عند غيرهم .
١٣٣	محظور	محظور	محظور	محظورة	وفيه الفدية أو الإطعام راجع المسألة الحادية عشرة .
١٣٤	محظور	محظور	جائز	محظور	وفيه الفدية أو الإطعام عند القائل بالحظر إلا الحنابلة فلا جزاء فيه ، راجع المسألة الحادية عشرة .

١٣٥ وقتل الجراد إن عم الطريق واجتهد المحرم فى التحفظ من قتله .
١٣٦ وقتله إن لم يعم أو عم ولم يجتهد فى التحفظ من قتله .

١٣٧ وقتل العلق والبرغوث والدود والقراد والحلم والبق والنمل ونحوها من كل ما يعيش بالأرض .
١٣٨ والجماع والانزال ومقدماته ولو علمت السلامة من المنى أو المذى وعقد النكاح لمحرم وليأ أو زوجاً أو زوجة .

١٣٩ وتعرض المحرم أو من بالحرم لحيوان برى متوحش الأصل وأن تأنس أو لم يؤكل بقتل أو اصطياد أو تسبب فى ذلك ولو بالدلالة عليه أو بطرده من الحرم أو حفر بئر له أو نصب شرك أو دفع آلة للصائد أو تنفيره كالغزال والحمام وسائر الطيور .
١٤٠ والتعرض لجزء من أجزائه كيده ورجله وأذنه أو ما اتصل به كشعره وريشه وأفراخه وبيضه ولبنه .
١٤١ والتعرض للضفادع والسلحفاة البرية والطيور المائية والجراد إن لم يعم الطريق أو لم يتحرز من إصابته .
١٤٢ واستحداث ملكه بشراء أو هبة أو صدقة أو إقالة وقبوله وديعة من الغير .
١٤٣ وإرساله إن كان معه حين الإحرام أو حين دخوله الحرم لابيته وإن أحرم منه .
١٤٤ وقتل نحو الفأرة والحية والعقرب والزنبور والحدأة والغراب لدفع إيذائه .
١٤٥ وقتل عادى السباع إن كبر لدفع إيذائه لا يقصد ذكاته كأسد وذئب وفهد ونمر وكلب عقور وطير خيف منه على نفس أو مال إلا بقتله وقتل وزغ من حل بحرم
١٤٦ وقتل الحيوان البرى مطلقاً إذا صال عليه للدفع عن نفسه .
١٤٧ وأكل المحرم المضطر إلى ذبح صيد لشدة الجوع .
١٤٨ وأكل المحرم صيداً صاده لأجله حلال من الحل .

١٤٩ وصيد البحر ، وأكله ولو فى الحرم ومنه كلب الماء والسرطان والضفدع البحرى والسلحفاة البحرية وذبح الأنعام والطيور الإنسية .
١٥٠ وقطع أو قلع حل أو محرم مكلف ما ينبت بنفسه فى أرض الحرم كشجر الطرفاء والسلم والبقل البرى .
١٥١ وقطع الأذخر والسنا والسواك والعصا وما وقصد السكنى بموضعه للضرورة أو إصلاح الحوائط .
١٥٢ والتعرض لصيد حرم المدينة وقطع أو قلع شجرها .



تمت مناسك الحج والعمرة وجداول أحكامهما فى المذاهب الأربعة ، وقد ألحق بها الأستاذ الوالد رحمه الله اثنين وعشرين مسئلة متعلقة بها شارحة لها وخاتمة فى الاستطاعة على المذاهب الأربعة وستطبع هذه الرسالة فى القريب العاجل بمشيئة الله تعالى رجاء نفع المسلمين بها .

رقم	حنفى	مالكى	شافعى	حنبلى	ملحوظات
١٣٥	جائز	جائز	جائز	جائز	ولا جزاء فى قتله .
١٣٦	محظور	محظور	محظور	محظور	وفيه الجزاء بقيمته طعاما ، راجع المسألة الحادية عشرة .
١٣٧	جائز	محظور	جائز	جائز	وفيه الإطعام بقبضة أو حفنة عند القائل بالحظر ولا شىء فى طرحه .
١٣٨	محظور	محظور	محظور	محظور	ومنه مفسد . ومنه منجبر بالدم . ومنه مافيه الاستغفار ، والحظر عند الحنفية خاص بالجماع والانزال ومقدماته دون عقد النكاح ، راجع المسألة الثانية عشرة .
١٣٩	محظور	محظور	محظور	محظور	والحظر عند الشافعية والحنابلة خاص بما كان مأكولا والجزاء بقتله أو تمريضه للتلف ، راجع المسألة الثالثة عشرة ، والمسألة الرابعة عشرة .
١٤٠	محظور	محظور	محظور	محظور	وفيه الجزاء ، راجع المسألة الثالثة عشرة ، والمسألة الرابعة عشرة .
١٤١	محظور	محظور	محظور	محظور	والجزاء بقتله أو التسبب فيه إلا الضفدع فلا حظر فيه ولا جزاء عند الشافعيه .
١٤٢	محظور	محظور	محظور	محظور	ولاجزاء فيه بمجرد ذلك بل بقتله أوموته .
١٤٣	واجب	واجب	واجب	واجب	مع زوال ملكه عنه عند المالكية والشافعية .
١٤٤	جائز	جائز	جائز	جائز	
١٤٥	جائز	جائز	سنة	سنة	
١٤٦	جائز	جائز	جائز	جائز	ولا جزاء عليه
١٤٧	جائز	جائز	جائز	جائز	وعليه الجزاء
١٤٨	محظور	محظور	محظور	محظور	وفيه الجزاء مطلقا أذنه أم لا ، وعند أبى حنيفة إذا صاده بإذنه وإلا جاز أكله ولا جزاء فيه .
١٤٩	جائز	جائز	جائز	جائز	
١٥٠	محظور	محظور	محظور	محظور	ولا جزاء فيه عند المالكية ومذهب الشافعية فيه الجزاء ، راجع المسألة الرابعة عشرة .
١٥١	جائز	جائز	جائز	جائز	ومثله عند الشافعية ما قطع لعلف الدواب أو التداوى أو لإيذائه كشجر ذى شوك .
١٥٢	محظور	محظور	محظور	محظور	ولا جزاء فى قطع شجرة أو قتل صيده وأن حرم أكله راجع المسألة الرابعة عشرة .

الحج

بين الدين والفلسفة والاجتماع

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

أستاذ الشريعة المساعد بجامعة فؤاد

١ — الحج ركن من أركان الإسلام كما نعلم جميعاً ، وفريضة لايتم للمسلم دينه إلا إذا أتى بها — متى كان قادراً عليها وتهيأت له أسبابها — ولو مرة واحدة فى حياته . وقد فرضه الله تعالى بقوله : « ولله على الناس حجُّ البيت من استطاع إليه سبيلا » ، وبقوله : « وأتموا الحج والعمرة لله » كما أشار بعد ذلك إلى أعماله فى آيات أخرى ليس من الضرورى ذكرها ، وجماع هذه الأعمال ثلاث : الإحرام ، والوقوف بعرفة ، والطواف بالبيت المحرم .

وفى سبيل تأكيد هذه الفريضة ، سميت سورة من سُوَر القرآن الكريم بسورة الحج ، ووردت فيه أحاديث كثيرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن هذه الأحاديث قوله : « من ملك زاداً وراحلة تبلغه إلى بيت الله الحرام فلم يحج ، فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا » .

وليس القصد من هذه الكلمة بيان ماللحج من مقدمات وشروط وأعمال لايتم إلا بها ، بل بيان أنه عمل اجتماعى يدعو إليه الفكر الفلسفى وصالح المسلمين عامة لو لم يكن الدين قد دعا إليه وجعله فرضاً مفروضا .

* * *

٢ — الإنسان جسم ونفس ، أو مركب من عنصرين : عنصر أرضى وهو الجسد ، وآخر سماوى إلهى وهو الروح . والنزاع بين هذين العنصرين فى الإنسان نزاع قديم أبدى ، عرفه الإنسان منذ عرف الحياة . والناس ، فى مَيْلِهم لهذه الناحية أو تلك ، بين مُفْرط ومُفَرِّط ، إلا من آتاه الله شيئاً من الحكمة فعرف لكل منهما حقه وأرضاها بقَدَر . وجاء الدين الحق حاثًّا على التوسط بين هذين الطرفين ، بعد أن مالت اليهودية كل الميل نحو الناحية المادية ، ومالت المسيحية السمحاء كل الميل نحو الناحية الروحية ، ثم ارتدت كسابقتها إلى الناحية المادية .

من أجل هذا وذاك ، كان لابد أن يجىء الإسلام بعمل يلفتنا بقوة عن هذه الحياة

المادية ، وذلك بما يستلزم من إعراض عن زينة الدنيا وطيباتها ، وبما يفرضه من مساواة تجعل الغنى يحس تماما بأنه أخ لغيره من عباد الله الذين لم يُخوِّلهم ما خوّله من مال وغنى ، فتراه فى أيام الحج لا يتميز عنهم فى ملبسه ومظهره وعامة أحواله .

هذا العمل ليس إلا الحج الذى يقوم فى الإسلام مقام الرهبانية فى المسيحية ؛ إذ فيه ما فى الرهبانية من انقطاع لله ، وإقبال عليه ، وتجرد له ، وسُمُوٍّ بالروح ، مع سلامته مما يلازم الرهبانية من كَبْت وعَنَت وإرهاق ومحاولة للخروج عن الطبيعة البشرية ، ولهذا يقول الله عنها : « ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رَعَوْها حقّ رعايتها » .

ثم فى الحج ، مع هذا ، زيارة البيت العتيق الذى أضافه الله إليه لشرفه ، واجتماع أكبر عدد من المسلمين كل عام فى صعيد واحد يَؤُمُّون غرضاً واحداً ، ولكل من هذين الأمرين حكمته وأثره البعيد فى حياة الأمة الإسلامية . إن شقاء المسلمين قد يرجع فيما يرجع ، إلى تناكُرهم وتفرُّق السُّبُل بهم ، وعدم وحدة أهدافهم . والإسلام الذى حث أمة القرآن على أن يأتمروا بينهم بمعروف ، جعل للمسلمين مؤتمرات : منها ماهو يومى ، وهو الصلاة جماعة خمس مرات ؛ ومنها ماهو أسبوعى ، وهو لهذا أوسع وأعم من سابقه ، وهو صلاة أهل الحىّ الجمعة فى مسجد واحد ؛ ومنها ما يكون مرتين فى العام ، وهو صلاة العيدين ؛ وأخيراً ، المؤتمر ، المؤتمر الذى على كل مسلم قادر أن يشهده ولو مرة واحدة فى العمر ، وهو الحج إلى البقاع المقدسة .

وليس الناس جميعاً قادرين على فهم الحقائق عارية مجردة غير مرموز لها بمُثُل محسة ، فكان من الحكمة أن يكون من شعائر الحج الطواف بالبيت ، واستلام الحجر الأسود ، رمزاً لما يجب أن يكون عليه المسلمون من وحدة فى الهدف ، واتحاد فى التوجه لله جلّ وعلا .

إن البيت الذى أُمرنا بالطواف حوله هو بيت الله الذى جعله مثابة للناس وأمْناً ، وفى الطواف حوله تشبُّه بالملائكة الحافِّين بالعرش ، الطائفين به قانتين مسبِّحين لا يَفْتُرون ، وفى هذا ما فيه من سمو بالروح ، وعروج بها إلى السموات العُلَى . ونفس الحلول بالبيت الحرام ، تمهيد لرؤية صاحبه متى صفت النفس ، وصارت أهلاً لهذه السعادة القُصْوى .

والحجر الأسود هو كما جاء فى الحديث الشريف ، يمين الله يصافح بها خلقه ، ففى استلامه — وهذا ما يرمز له — حافز قوى على وفاء الحاج بما يعاهد الله عليه من بُعْد عن الشر ، وحب للفضيلة ، وحرص على عمل الخير .

٣ – وللحج ، بعد ما نعرف من الأعمال الظاهرة ، حقائق باطنة يجب النفوذ إليها ، وأحوال نفسية يشعر بها الحاج وينعم بها . والشِّبْلِيُّ رضوان الله عليه ، وهو صوفى حرى بهذا الوصف ، وليس كأدعياء التصوف هذه الأيام ، يرى أن من عقد الحج لله ، ولم يفسخ بهذا العقد كل عقد يخالفه ، كان كأنه ما عقد الحج ونواه ؛ وأن من تجرد من ثيابه للاحرام ، ولم يتجرد مع هذا من المعاصى ، يكون كأنه ما تجرد من ثيابه ؛ وأن من لبّى ولم يذق عن الله جواب تلبيته ، يكون كأنه ما لبىّ ، وأن من أشرف على مكة ، فلم يُشرف عليه حال من الله تعالى ، يكون كأنه ما دخلها ؛ وأن من صافح الحجر الأسود فلم يجد أثر الأمن ، كان كأنه ما صافحه أو لمسه ، لأن من صافح الحجر فقد صافح الحق سبحانه وتعالى وصار فى أمنٍ وسلام منه ؛ وأن من رمى الجمار ، فلم يَرْمِ بهذا جهله ، ولم يزدد به علما يظهر عليه ، كان كأنه ما رمى ؛ وأن من مضى من مكة إلى المدينة فزار الروضة الشريفة ، ثم لم يكاشف بشىء من الحقائق ، كان كأنه ما زار ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « الحُجَّاج والعُمَّار زُوَّار الله ، وحق على المزور أن يكرم زُوَّاره » . وهكذا نجد من الشِّبْلِىّ رحمة الله عليه تحليلا دقيقا طريفا للحج وأعماله ومشاعره ، تحليلا نفهم منه كثيراً من أسرار الحج وفلسفته وحكمته التى شرعه الله من أجلها .

ومن الحق أن نوافق الشبلي وأمثاله فى نظرهم للحج وحِكَمِه وأسراره هذه النظرة الفلسفية العالية ؛ فإن مِنَّا من يبذل فى سبيل السفر للحجاز كثيراً من المال ، ويتحمل كثيراً من المشاق ، وذلك فى سبيل الظفر بلقب « حاج » ينال به من عروض هذه الحياة ! ومِنَّا من يعيش أيام الحج فى تلك البقاع المقدسة والأجواء الروحية السامية ، ثم لا يتذوق منها شيئا ، فيعود أغلظ قلباً مما ذهب ! ومِنَّا أخيراً من عرف يقينا خطر ما هو مقبل عليه ، وعلم أنه يهجر الوطن والأهل والشهوات واللذات فى سبيل الله وزيارة بيته الحرام ، فهو يقدر البيت قدره ويرى لربه عظمته وجلاله ، ويجاهد نفسه وهواه حتى يرجع لبلده خيراً مما ذهب ، ويعود لأهله وقد تقبل الله حجه ورضيه وأرضاه .



٤ – ذلك والحج للكعبة وإن كان من خصائص أمتنا الإسلامية ، فإن الحج باعتباره قصداً إلى مكان مقدس قد عرفته الأمم جميعاً فى العصور المختلفة : عرفه اليونان فكانوا يحجون قبل الديانات السماوية إلى معابد مقدسة لديهم ، وعرفه الهنود والصينيّون القدامى ، ثم عرفه اليهود والمسيحيون الذين لا يزالون يحجون إلى بيت المقدس .

ومما يجدر ملاحظته أن الحجاج من هذه الأمم المختلفة وغيرها ، يلتزمون أثناء الحج التقشف والزهد فى طيبات هذه الحياة كما نلتزم وذلك ليشعروا أنفسهم شيئاً من الروحية العالية ، وليس هذا التوافق بعجيب ! فالإنسان هو الإنسان فى كل زمن ، وإنه ليحس دائماً الحاجة للسمو الروحى ، والتقرب من الله أو الرمز الذى اتخذه له ، ولهذا السُّمو والتقرب سبل عدة ، من أهمها الحج للمكان المقدس الذى يراه ألصق البقاع بإلهه .

٥ — هذا هو خطر الحج عند الأمم غير الإسلامية لما يعتبرونه مقدسا من مكان ، فكيف عندنا وهو تلبية لنداء أبينا الخليل عليه السلام إذ يقول : « ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم ، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » ! وهو مع ذلك استجابة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم حين أمره الله بقوله : « وأَذِّن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات » . فقد روى أنه عليه الصلاة والسلام ، لما نزلت هذه الآيات ، صعد أبا قُبَيْس وقال : « يا أيها الناس ! حُجُّوا بيت ربكم » ، فأسمعه الله تعالى من فى أصلاب الرجال وأرحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق فى علمه تعالى أنه يحج من الطائفين والقائمين والرُّكَّع السجود .

وكيف ، والرسول يقول ، فيما رواه زيد بن على عن أبيه عن جده على رضى الله عنهم جميعاً : « من أراد الدنيا والآخرة فَلْيَؤُمَّ هذا البيت ؛ فما أتاه عبد يسأل الله دُنيا إلا أعطاه الله منها ، ولا يسأله آخرة إلا ذخر له منها . ألا أيها الناس ! عليكم بالحج والعمرة فتابعوا بينهما ؛ فإنهما يغسلان الذنوب كما يغسل الماء الدرن عن الثوب ، وينفيان الفقر كما تنفى النار خبث الحديد [1] » .

٦ — إنى أحاول أن أتصور ديننا خلا من الحج لمشهد مقدس وبقاع طاهرة ، فلا أكاد أظفر إلا بصورة باهتة لدين ميت لا حياة فيه . إنه من النافع كل النفع أن يصلى المرء ، ففى الصلاة رياضة للجسم والروح ؛ وحسن جميل أن يصوم ، ففى الصوم تعويد على الصبر ، وترقيق للنفس ، وفائدة للجسد ؛ ومن الخير للمجتمع أداء الزكاة على اختلاف أنواعها ، ففى هذا اقتلاع للحسد والحقد من قلوب المعوزين على القادرين ،

---

(١) الروض النضير شرح مجموع الفقه الكبير ، لشرف الدين الحسين أحمد الصنعانى المتوفى عام ١٢٢١ هـ ، مطبعة السعادة بمصر عام ١٣٤٨ هـ ، جـ ٣ : ٢ .

وعون للفقراء على متاعب الحياة ، وإغلاق لكثير من السجون ، وفتح لغير قليل من المنشآت الاجتماعية

ولكن هذه العبادات كلها لا تغنى عن التزام الأمة الحج لمكان واحد ، وقصد غرض واحد ، والعيش فترة طويلة من الزمن فى تجرد عن مفاتن الحياة ، وإقبال على الله وحده ، واستعداد لتلقى فيضه ورحمته ، ما دمنا قد سعينا إلى بيته مخلصين النية له .

٧ — إلا أن الحج على الوضع الحاضر ، الذى شاهدته بنفسى فى الحجاز منذ عامين ، لا يمكن أن يكون منه المؤتمر الأكبر للمسلمين الذى نطلبه جميعا .

إنه لكى يتحقق من الحج الغاية السامية التى شرع من أجلها ، وليكون منه المؤتمر السنوى الأكبر للمسلمين يجتمعون فيه لبحث مشاكلهم العامة ووسائل علاجها ، يجب — كما قلت فى أكثر من صحيفة منذ عامين — أن نعمل على تحقيق ما يأتى :



(ا) انتشار اللغة العربية حتى تكون لغة جميع العالم الاسلامى .

(ب) إنشاء مكتب دائم لهذا المؤتمر فى مكة والمدينة .

(ج) أن تتوفر لدى من يقوم على هذا المكتب ، النية الطيبة ، والإدارة الحازمة ، لعلاج المشاكل الإسلامية التى لها الطابع القومى العام .

(د) تدويل البقاع المقدسة ، فتكون إدارتها تحت إشراف رجالات تختار من جميع البلاد الإسلامية ، كما هو الحال فى طنجة مثلا فهى تدار دوليا برجال من دول مسيحية — بكل أسف — معروفة .

ولعل من أول هذه المشاكل استحقاقا للبحث والعلاج العاجل — مشكلة الحج وتيسيره للراغبين فيه ، وتنظيم إقامتهم فى مكة والمدينة ، حتى لا يجدوا دائما ما وجدناه من مظالم ومشاق ينوء بها أوساط الناس ، والأمر معروف ، تكفى فيه الإشارة عن التصريح .

إن هذه البقاع المقدسة ، ملك لله وحده ، ثم للمسلمين جميعا ، ولذلك يجب أن تكون لهم جميعا حق تنظيمها وإدارتها وبخاصة أيام الحج ، وبدون ذلك — إن استمر الحال على ما نعرف — سيبقى الحج عذابا للحجاج لا يتصوره إلا من ذاقه بنفسه !

هذا ، وأدعو الله أن يوفقنا لحج بيته المحرم فى ظروف أحسن وأيسر وأسعد ، وأن يجعل حج من يحج من المسلمين عامة حجا مبرورا ليس له جزاء إلا الجنة كما جاء فى حديث المصطفى صلوات الله وسلامه عليه .

الســـــلام

وحكمة مشروعية القتال فى الإسلام

للامام الشهيد الأستاذ حسن البنا

الإسلام شريعة السلام ودين الرحمة ما فى ذلك شك ، لا يخالف فى هذا إلا جاهل بأحكامه ، أو حاقد على نظامه ، أو مكابر لا يقتنع بدليل ولا يسلم ببرهان .

اسم الإسلام نفسه مشتق من صميم هذه المادة ، مادة السلام .

والمؤمنون بهذا الدين لم يجدوا لأنفسهم اسماً أفضل من أن يكونوا المسلمين : « مِلةَ أبيكم إبراهيم هو سماكُمُ المسلمين من قبلُ وفى هذا ليكون الرّسولُ شهيداً عليكم وتكونوا شهداءَ على الناس » (سورة الحج الآية : ٧٨) .

وحقيقة هذا الدين ولبه الإسلام لرب العالمين : « بلى مَنْ أسلمَ وجهه لله وهو محسنٌ فله أجرُه عندَ ربه ، ولاخوفٌ عليهم ولاهم يحزنون » (سورة البقرة الآية ١١٢) « إذْ قال له ربهُ أسلِمْ قال أسلمتُ لِربِّ العالمين » (سورة البقرة الآية ١٣١) . « وأمِرْنا لِنسلِم لِربِّ العالمين » (سورة الأنعام الآية ٧١) .

وتحية أهل الإسلام فيما بينهم : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته — وختام الصلاة عندهم : سلام على اليمين وسلام على اليسار وسلام فى الأمام إن كانوا يصلون خلف إمام ، كأنهم يبدءون أهل الدنيا من كل نواحيها بالسلام بعد أن فارقوها بخواطرهم لحظات انصرفوا فيها لمناجاة الله الملك العلام .

وقد نزل القرآن الكريم فى ليلة كلها سلام تحف به ملائكة السلام : « إنا أنزلناه فى ليلةِ القدر ، وما أدراك ما ليلةُ القدرِ ، ليلةُ القدرِ خيرٌ منْ ألفِ شهر ، تنزّلُ الملائكة والرُّوحُ فيها بإذن ربهم من كلِّ أمر ، سلامٌ هى حتى مطلع الفجر » (سورة القدر) .

وأفضل ما يلقى الله به عباده تحية السلام : « تحيتهم يومَ يلقوْنه سلامٌ ، وأعدَّ لهم أجراً كريماً » (سورة الأحزاب الآية : ٤٤) .

وخير ما يستقبل به الملائكة الصالحين من عباد الله فى جنة السلام : « والملائكة يدخلونَ عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » (سورة الرعد الآية ٢٤)

والجنة نفسها اسمها دار السلام : « لهم دارُ السلام عندَ ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون » (سورة الأنعام الآية : ١٢٧) . « واللهُ يدعو إلى دارِ السلام ويَهدى من يشاء إلى صراط مستقيم » (سورة يونس الآية : ٢٥) .

والله تبارك وتعالى اسمه السلام : « هو اللهُ الذى لا إلهَ إلا هو الملكُ القدوسُ السلام » (سورة الحشر الآية : ٢٣) .

ولن يتأخر المسلم عن الاستجابة لدعوة السلام ولن يردها أبداً : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم . وإن يريدوا أن يخدعوك فإنَّ حسبَكَ الله ، هو الذى أيدكَ بنصره وبالمؤمنين » (سورة الأنفال الآية : ٦٢) . « ولا تقولوا لمن ألقى إليكمُ السلام لستَ مؤمناً تبتغون عرَض الحياةِ الدُّنيا فعند الله مغانم كثيرة » (سورة النساء الآية : ٦٢) .

وليست فى الدنيا شريعة دينية ولا نظام اجتماعى فرض السلام تدريباً عملياً ، واعتبره شعيرة من شعائره ، وركناً من أركانه ، كما فرض الإسلام رياضة النفس على السلام بالإحرام فى الحج ، فمتى أهل المسلم به فقد حرم عليه منذ تلك اللحظة أن يقص ظفراً ، أو يحلق شعراً ، أو يقطع نباتاً ، أو يعضد شجراً ، أو يقتل حيواناً ، أو يرمى صيداً ، أو يؤذى أحداً بيد أو لسان ، حتى لو وجد قاتل أبيه وجهاً لوجه لما استطاع أن يمسه بشىء : « فلا رفثَ ولا فسوق ولا جدال فى الحج » . فهو بهذا الإحرام قد أصبح سلما لنفسه ، سلماً لغيره من إنسان أو حيوان أو نبات .

* * *

والإسلام دين الرحمة :

فهى قرين السلام فى تحية المسلمين .

ونبى الإسلام إنما أرسله الله رحمة للعالمين .

وشعار المسلم الذى يردده قبل كل قول أو عمل : « بسم الله الرحمن الرحيم » .

والوصية بين المؤمنين الصبر والمرحمة « ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك أصحاب الميمنة » (سورة البلد الأمين ١٧)

وآيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وأعماله وتصرفاته كلها تدل على سمو منزلة الرحمة بين الأخلاق التى يأمر بها هذا الدين .

لقد فتحت أبواب الجنة ، وشملت رحمة الله تعالى ومنته رجلا سقى كلبا يلهث الثرى من العطش — روى البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بينما رجل يمشى فى طريق اشتد عليه العطش ، فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ،

ثم خرج وإذا كلب يلهث الثرى من العطش فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ منى، فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب فشكر الله تعالى فغفر له ، قالوا يارسول الله وإن لنا فى البهائم أجراً ؟! قال فى كل كبد رطبة أجر »

وفتحت أبواب النار لامرأة حبست هرة وقست عليها روى البخارى ومسلم أن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها ولم تطعمها ولم تتركها تأكل من خشاش الأرض » .

ومن قبل أن تنشأ جمعيات الرفق بالحيوان فى أوربا أو غيرها كان الرفق بالحيوان شعار الدين الإسلامى ، ووصية النبى صلى الله عليه وسلم لكل مسلم — عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتتخذوا ظهور دوابكم منابر ، إنما سخرها الله لكم لتبلغوا إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس، وجعل لكم الأرض فعليها فاقضوا حاجتكم » رواه أبو داود .



وعن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه رضى الله عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فرأينا حمرة معها فرخان لها فأخذناهما ، فجاءت الحمرة تعرش، فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من فجع هذه بولدها ردوا ولدها إليها . ورأى قرية نمل قد أحرقناها فقال : من أحرق هذه ؟ قلنا نحن قال « إنه لاينبغى أن يعذب بالنار إلا رب النار » أخرجه أبو داود أيضاً .

وروى ابن عبد الحكم فى سيرة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أنه نهى عن ركض الفرس إلا لحاجة ، وأنه كتب إلى صاحب السكك ألا يحملوا أحداً بلجام ثقيل ولا ينخس بمقرعة فى أسفلها حديدة — وكتب إلى حيان بمصر إنه بلغنى أنه بمصر إبلا نقالات يحمل على البعير منها ألف رطل ، فإذا أتاك كتابى هذا فلا أعرفن أنه يحمل على البعير أكثر من ستمائة رطل .

وإنما سمى الفسطاط (مصر القديمة) لأن فسطاط عمرو بن العاص حين الفتح اتخذت من أعلاه حمامة عشاً لها ، فلم يشأ عمرو أن يهيجها بتقويضه فتركه ، وتتابع العمران من حوله ، فكانت مدينة الفسطاط .

وما ذلك كله إلا أثر من آثار الرحمة التى يشيعها الإسلام فى نفوس المؤمنين ، فهو ولاشك دين الرحمة وهو ولاشك دين السلام .

* * *

وإذا كان الإسلام دين السلام ودين الرحمة ، فما موقفه من فكرة الحرب والقتال

والجهاد ؟ وهل انتشر بالسيف كما يقول عنه كثير من خصومه الذين لم يعرفوه أو تعمدوا أن يتجاهلوه ؟ وهل انفرد دون غيره من الأديان بشروعية القتال ؟ هذه رءوس الموضوعات التي سنعالجها مختصرة في هذه الـكلمات التالية :

الإسـلام والحرب :

ا — الحرب ضرورة اجتماعية : القاعدة الأساسية التي وضعها الإسلام للحياة هي ولاشك الطمأنينة والسلام والاستقرار ، ولـكن الإسلام مع هذا دين يواجه الواقع ولا يفر منه ما دامت في الدنيا نفوس لها نوازع وأهواء ومطامع، ومادام هناك هذا الناموس الذي يطبق على الأفراد والجماعات على السواء ، ناموس تنازع البقاء . فلا بد إذن من الاشتباك والحرب ، وحين تكون الحرب لردع المعتدى، وكف الظالم، ونصرة الحق ، والانتصاف للمظلوم — تـكون فضيلة من الفضائل، وتنتج الخير والبركة والسمو للناس،وحين تـكون تجبراً وفساداً في الأرض واعتداء على الضعفاء تكون رذيلة اجتماعية وتنتج السوء والشر والفساد في الناس — ومن هنا جاء الإسـلام يقرر هذا الواقع ويصوره فيقول القرآن الـكريم « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولـكن الله ذو فضل على العالمين » (سورة البقرة الآية ٢٥١) كما يقول في آية أخرى « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهُدِّمت صوامع وبيعٌ وصلوات ومساجدُ يذكرُ فيها اسم الله كثيراً ،ولينصرنّ الله من ينصره، إن الله لقوى عزيز، الذين إن مكنّاهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور » (الحج الآيتان ٤٠ — ٤١) وبذلك كانت أولى نظرات الإسلام إلى الحرب أنها ضرورة اجتماعية ، أو شر لابد منه لما يرجى من ورائه من خير على حد قول الشاعر العربي :



والشر إن تلقه بالخـير ضقت به ذرعا ، وإن تلقه بالشر ينحسم
والناس إن ظلموا البرهان واعتسفوا فالحرب أجدى على الدنيا من السلم

ب — أغراض الحرب في الإسلام : وفي الوقت الذي يقرر فيه الإسلام هـذا الواقع يحرم الحرب ويسمو بها، ولا يدعو إليها أو يشجع عليها إلا لهـذه الأغراض الأساسية السامية العالية الحقة :

١ — رد العدوان والدفاع عن النفس والأهل والمال والوطن والدين ، وفي ذلك يقول القرآن الـكريم « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ، إن الله لايحب المعتدين » (البقرة الآية ١٩٠) وكانت أول آية من آيات القتال نزلت وفيها الإذن به

قول الله تعالى « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله » (سورة الحج الآية : ٤٠) وفى الثالثة « وما لكم لاتقاتلون فى سبيل الله الخ » وروى مسلم والنسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله أرأيت إن عدى على مالى ؟ قال فانشد بالله ، قال فإن أبوا على ؟ قال فانشد بالله ، قال فان أبوا على ؟ قال فانشد بالله ، قال فإن أبوا على ؟ قال فقاتل فإن قُتلت ففى الجنة وإن قَتلت ففى النار » .

وروى أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه عن سعد بن زيد رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من قُتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قُتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قُتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قُتل دون أهله فهو شهيد » .

وروى البخارى والترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من أريد ماله بغير حق فقاتل فقتل فهو شهيد » .

٢ — تأمين حرية الدين والاعتقاد للمؤمنين الذين يحاول الكافرون أن يفتنوهم عن دينهم ، وفى ذلك يقول القرآن الكريم : « يسألونك عن الشهر الحرام قتالٌ فيه ؟ قلْ قتالٌ فيه كبيرٌ ، وصدٌّ عن سبيل الله وكفرٌ به ، والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبرُ عند الله ، والفتنة أكبر من القتل » (سورة البقرة الآية : ٢١٧) . ويقول فى آية أخرى « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدينُ لله ، فإنِ انتهوْا فلا عدوانَ إلا على الظالمين » (سورة البقرة الآية : ١٩٣) .

٣ — حماية الدعوة حتى تبلغ إلى الناس جميعاً ، ويتحدد موقفهم منها تحديداً واضحاً ، وذلك أن الإسلام رسالة اجتماعية إصلاحية شاملة تنطوى على أفضل مبادىء الحق والخير والعدل وتوجه إلى الناس جميعاً كما قال الله تبارك وتعالى لنبى الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم : « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً » . فلا بد أن تزول من أمامها كل عقبة تمنع من إبلاغها ، ولابد أن يعرف موقف كل فرد وكل أمة بعد هذا البلاغ ، وعلى ضوء هذا التحديد تكون معاملة الإسلام وأهله للناس . فالمؤمنون إخوانهم ، والمعاهدون لهم عهدهم ، وأهل الذمة يوفى لهم بذمتهم ، والأعداء المحاربون ومن تخشى خيانتهم ينبذ إليهم ، فإن عدلوا عن خصومتهم فبها ، وإلا حوربوا جزاء اعتدائهم حتى لا يكونوا عقبة فى طريق دعوة الحق ، أو مصدر تهديد وخيانة لأهلها — لا إكراهاً لهم

على قبول الدعوة ولا محاولة لكسب إيمانهم بالقوة : « لا إكراهَ في الدين قد تبينَ الرُّشدُ من الغيّ » (البقرة الآية : ٢٥٦) . والآيات والأحاديث ناطقة بذلك مفصلة إياه في مثل قول الله تعالى : « وإما تخافنّ من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء » (الأنفال الآية ٥٨) . « فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياةَ الدنيا بالآخرة ، ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيما » (سورة النساء الآية : ٧٤) . وقوله تعالى : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتابَ حتى يُؤتوا الجزية عن يد وهم صاغرون » (سورة التوبة الآية : ٢٩) . وقوله تعالى : « الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله ، والذين كفروا يُقاتلون في سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياءَ الشيطان إنّ كيدَ الشيطانِ كان ضعيفاً » (سورة النساء الآية : ٧٦) .

وروى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله » .



٤ — تأديب ناكثي العهد من المعاهدين أو الفئة الباغية على جماعة المؤمنين التي تتمرد على أمر الله ، وتأبى حكم العدل والإصلاح وفي ذلك يقول القرآن الكريم : « وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون ، ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة » . (سورة التوبة الآيتان ١٢ ، ١٣) ويقول : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيءَ إلى أمر الله ، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ، إن الله يحب المقسطين » . (سورة الحجرات الآية : ٩) .

٥ — إغاثة المظلومين من المؤمنين أينما كانوا والانتصار لهم من الظالمين ، وفي ذلك يقول القرآن الكريم : « والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا ، وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق ، والله بما تعملون بصير » (سورة الأنفال الآية : ٧٢) .

الحج تطهير

للأستاذ السيد محب الدين الخطيب

أكتب هذه السطور لكل أخ من إخوانى المسلمين وفقه الله لحج بيت الله الحرام فى هذا العام أو فى أىّ عام ، فأتحدّث معه فى معنى الحجّ ، والغرض منه ، والأثر الذى يترتب عليه ، وبماذا يكون الحجُّ مبرورا ، وما الذى يفسد على الحجاج حجهم فينقلبون إلى أهليهم وقد خسروا — والعياذ بالله — دينهم ، وأضاعوا نقودهم ، وكانوا من إخوان الشياطين .

الحجُّ تطهير . وكما أن ثياب المرء تتسخ وتتنجس إذا لامستها الأقذار أو أصابها رشاش من نجاسة ، كذلك نفسه تتسخ أو تتنجس إذا قارفت بعض الآثام ، أو تعاونت مع الظلام ، أو تلطخت بمساخط الله العزيز الجبار شديد الانتقام .

ونحن جميعا غير معصومين عن ارتكاب الإثم ، لأن الشيطان مسلط علينا ، وإيحاؤه متصل بتفكيرنا ، وله أساليب ناعمة مرنة فى استمالتنا نحو الباطل والشر ، وهو دائب على إيقاظ شهواتنا وتهييج مطامعنا وأنانياتنا . وكم بات قرير العين بإغراء الواحد منا وتحريضه على معصية الله باختلاس حق من حقوق خلقه ، أو إلحاق الأذى بمن لا يستطيع أن يدفع عن نفسه ، أو بعرقلة مصالح أناس وضع الله مصالحهم بين يديه ، فيما يتولاه من وظائف الحكومة ، أو فيما يقوم به للناس من مختلف الأعمال .

إن هذه الآثام تقع من الناس بالفعل فى كل يوم وفى كل بيئة . فإن لم تقع منك نحوى أو نحو غيرى ، لا يبعد أن يقع مثلها منى نحوك أو نحو غيرك ، ومما لا شك فيه أن هذه الألوف المؤلفة من الحجاج الذين يقصدون بيت الله من أندونيسيا والملايو وباكستان والأفغان وسائر البلاد الأسيوية ، ومن المغرب الأقصى والجزائر وتونس وليبيا والسودان وبلاد السنغال ونيجريا وأرتيريا والصومال وغيرها من البلاد الإفريقية ، يوجد فيهم — كما يوجد فى حجاج مصر والشام والعراق واليمن وغيرها — رجال ونساء لا عداد لهم صدر عنهم فيما مضى كثير أو قليل من مثل هذه الآثام ، وهم الآن فى طريقهم إلى معالم الحرم يريدون أن ينخلعوا من لباس بلادهم ليأتزروا بمآزر الإحرام ويطهروا جوارحهم بماء زمزم ، ويتوجهوا بأدعيتهم إلى الله على أمل أن يكونوا من المقبولين عنده .

لقد حججتُ — ولله الحمد والمنة — ثلاث حجّات ، ولم يقع نظرى فى كل ذلك على حاجّ واحد نسى أن يخلع ملابسه التى كانت عليه قبل الإحرام بالحجّ ، ليتسربل بمآزر الإحرام التى يشترك فى مظهرها جميع الحجاج على اختلاف أوطانهم وأجناسهم ولغاتهم . ولكنى كنت أتساءل بينى وبين نفسى فى كل مرة : كم عدد الحجاج الذين طهروا نفوسهم وانخلعوا من أدناسها ، وعزموا على أن يكونوا بعد حجهم طاهرين نظيفين ، مترفعين عن الإسفاف نحو الإثم ، والميل مع الباطل ، والطمع فى حقوق الآخرين ؟

الغرض من الحج الانخلاع من ماض مشوب بالإثم والباطل والشر ، وتجديد العهد مع الله على استئناف حياة نظيفة مستقيمة يقنع صاحبها بنصيبه المقسوم له من الحلال ، فنقاطع الشيطان فى كل ما يحاوله من الاتصال بتفكيرنا ، والإيحاء إلينا بما يوقظ أنانياتنا ومطامعنا وشهواتنا .



وليس فى رموز الحج الكثيرة رمز واحد لا يتفق مع هذا الغرض الأول والأخير من أغراض الحج .

الانخلاع من الملابس المخيطة المختلفة الأشكال ، والاستعاضة عنها بمآزر الإحرام : رمز للانخلاع من مظاهر الحضارة الكاذبة ، والرجوع إلى وحدة الفطرة الإسلامية ونقائها وصفائها وبساطتها .

والتلبية التى ترتفع بها أصوات الحجاج بين كل خطوة وأخرى منادين ربهم « لبيك اللهم لبيك » : تجديد للعهد مع الله على الابتعاد عن كل ما يسخطه ، والتزام كل ما يرضيه .

والأضاحى : تضحية ، وصدقة ، وتوسعة ، وبذل .

ورمى الشيطان بالحصى أسباعاً أسباعاً : إيذان بمحاربة الباطل والشر ، ومجاهرة للشيطان بالعداوة ، وتأكيد العزم على مخالفته فى كل ما يوسوس به إلى النفس ، متوسلا إليها بمدارج الشهوة ومزالق الهوى ، وميول الأنانية ، والرغبة فى الكسب كيفما كان .

إن حجاج بيت الله الحرام لا يقصرون فى جمع الحصى أسباعاً أسباعاً ساعة انحدارهم من مزدلفة إلى منى ليرجموا بها الشيطان ، فهم يقومون بذلك بكل عناية ودقة ، لا يشذ عنهم فى ذلك ولا واحد منهم . ولكن كم ترى عدد الحجاج الذين إذا انقلبوا إلى بلادهم قاطعوا الشيطان حقاً ، ولم يصغوا إلى إيحائه فيما يسوّل لهم من ارتكاب الأذى لمواطنيهم ، واختلاس مالا حق لهم باختلاسه من حقوق الغير ، ومناصرة الأقوياء على الضعفاء فى مختلف ظروف الحياة ؟ .

لم يقع نظرى فى عرفات ومنى وما بينهما وبين مكة على حاج واحد لا تنطلق حنجرته بالنداء المتواصل : « لبيك اللهم لبيك » ولكن كم ترى عدد الحجاج الذين يستعرضون فى أذهانهم عندما ينادون ربهم « لبيك اللهم لبيك » — الأمور التى يدعوهم الله إلى القيام بها ، والصفات التى يأمرهم بأن يتصفوا بها ، ومعانى الحق التى أوحى إليهم بألسنة رسله وجوب تحقيقها ومناصرة أهلها ؟ كم عدد هؤلاء الحجاج الذين يستعرضون فى أذهانهم هذه المعانى وأمثالها ، ويتصورونها فى عقولهم ، عندما يقولون لربهم «لبيك اللهم لبيك» متخذين ذلك عهداً وثيقاً بينهم وبين الله على أنهم استجابوا لإرادته ، وسيحققون أوامره فيما بقى من حياتهم ، إلى أن يموتوا وهم على هذا العهد، صادقين مخلصين ؟

وكم عدد الحجاج الذين خلعوا عن أجسامهم المخيط من ملابسهم فتصوّروا فى أذهانهم أنهم مكلفون بالانخلاع من طوارئ الإثم وعوارض الدنس الملطخة بها نفوسهم ، ليدخلوا بيت الله وهم أطهار بنفوسهم كما هم أطهار بمآزرهم وليخاطبوا الله بأدعيتهم وتلبيتهم وهم صادقون فى الدعاء والتلبية ؟ وكم عدد الذين تجشموا متاعب السفر للحج ، ودفعوا فى سبيله النفقات الكثيرة ، وهم يعلمون أن الغرض من الحج تجديد الحياة وإقامة حائل حصين من الحج بين حياة ماضية تلطخت بالقليل أو الكثير من الآثام ، وحياة أخرى مستقبلة يكون من أثر الحج عليها أن تبقى نظيفة نقية مصونة عن قذارات الطمع والأنانية والبغى على كرامات الناس وحقوقهم وأموالهم وهنائهم ؟

إن الملوك الظالمين لم يتوصلوا إلى ظلم الناس إلا بأيدى فريق من هؤلاء الناس . وإذا كنت قوى الذاكرة فإنك تستطيع أن تتذكر أسماء باشوات وبكوات حجوا بيت الله ثم عادوا فكانوا أعوانا للملوك الظالمين . بل إن من الذين حجوا بيت الله ، ورأيتهم أنا بعينى فى عرفات ومنى ومكة ، أناساً وقفوا حياتهم على العبودية للمستعمر والكيد لاخوانهم المسلمين تحقيقاً لأغراض الاستعمار . رأيتهم وهم يطوفون حول الكعبة ، ورأيتهم فى عرفات وهم يقولون « لبيك اللهم لبيك » ، وكنت أظن أن هذه الكلمة إذا قالها إنسان بأى لغة من لغات البشر يتصور معناها ويخجل من مخالفة الله بعد انطلاق هذه الكلمة من فمه ، لأن رجوع الرجل عن وعد وعده للمخلوق — فضلا عن عهد تعهد به للخالق — يعدّ من الكذب والدناءة والانخلاع من صفات الرجولة.

الحج الذى يضع حداً بين ماضى الانسان بما فيه من الآثام والمخازى ، وبين آتيه بما يجب أن يكون عليه من نقاء وصفاء واستقامة ، هو الحج المبرور ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة .

أما الحج الذى يخرج صاحبه من بلده إلى مكة وعرفات وهو مثقل بالذنوب والآثام ثم يعود ليستأنف ما كان عليه من ذنوب وآثام، فهو الذى يخسر به صاحبه دينه والعياذ بالله، وتضيع به نقوده، ثم يكون به من إخوان الشياطين!

فى كل سنة يحج عدد من المسلمين يزيدون كثيراً على مائة ألف، فلو أن هذا العدد من المسلمين عادوا إلى بلادهم فى كل عام وهم من أصحاب الحج المبرور، لاختفى الشيطان من العالم الإسلامى، وليئس المستعمرون من أن تكون لهم مصالح فى أوطان المسلمين، ولما وجد الملوك الظالمون الأيدى التى يستعملونها فى استعباد رعاياهم وسرقة أموالهم ومطاردة الحق والخير من ممالكهم.

ولكن لماذا لا يتم الحج المبرور لجميع الحجاج، وما هو المانع من أن يكون حجهم مبرورا؟

أظن أن المسئولية تقع على ورثة الأنبياء، وإن واحداً منهم إذا صحب ألفاً من الحجاج يستطيع أن يقنعهم بمعانى الحج المبرور، وأنه توبة، وأن التوبة انخلاع من الماضى القذر، واستقبال للحياة النظيفة. ومائة عالم إذا خرجوا مع الحجاج من أندونيسيا وملايا وباكستان والأفغان؛ ومن المغرب الأقصى والجزائر وتونس وليبيا والسودان وبلاد السنغال ونيجريا وأريتريا والصومال، ومن مصر والشام والعراق واليمن وحضرموت ومسقط والاحساء ونجد — مائة عالم إذا خرجوا للحج من كل هذه الاقطار، فتولى كل واحد منهم تفهيم ألف من الحجاج معنى الحج المبرور، يستطيعون أن يحدثوا فى العالم الإسلامى كله انقلابا أدبياً هادئاً لا يقل فى روعته وعظمته وجميل آثاره عن الانقلاب العظيم المبارك الذى قام به الغازى محمد نجيب وصحبه الأبرار رضى الله عنهم؟ فلماذا لا يفعل علماؤنا مثل هذا؟



إن تفهيم الحجاج معنى الحج المبرور ليس فى قوانين أمة من الأمم ما يمنعه. فلماذا كان علماؤنا يقصرون تعليم المناسك على مظاهرها وألفاظها، ولا يغوصون على مقاصدها وحقائقها؟

لماذا يتكلمون عن طهارة مآزر الإحرام، ولا يتكلمون عن طهارة النفوس من الآثام؟

سبب ذلك — فيما أظن — أن ورثة الأنبياء من العلماء قليلون، وأكثرنا محترف ويعيش ليأكل، ولذلك ضاعت «القيادة» من أيدى أناس، وانتقلت إلى أيدى آخرين. و«إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم».

انجلترا والعالم الإسلامى

للدكتور محمد ضياء الدين الريس
أستاذ التاريخ الإسلامى المساعد بجامعة فؤاد الأول

٣ — الاستعمار ومصيره

استولت « انجلترا » على البنجاب (الباكستان الغربية الآن) فى عام ١٨٤٩ ، وكان هذا ختام الدور الذى بدأ منذ منتصف القرن الثامن عشر لوضع يد انجلترا على شبه القارة الهندية بأكملها ، ثم بعد التغلب على الثورة التى اندلعت نيرانها فى عام ١٨٥٨ ، وكانت نوعا من المقاومة الوطنية والدينية للاستعمار قررت انجلترا إلغاء « شركة الهند الشرقية » بعد أن أدت مهمتها ، وضمت الهند إلى أملاكها . وفى عام ١٨٧٦ أعلن وزيرها « دزرائيلى » الهند إمبراطورية ، ونصب عليها ملكة انجلترا .

كان استيلاء انجلترا على الهند القاعدة أو الدعامة التى شيدت عليها انجلترا صرح استعمارها ؛ وقد تمكنت بفضل فرض سيطرتها على شبه القارة الغنية المترامية الأطراف، واستغلالها لشعوبها المتفرقة وأمرائها الإقطاعيين ، ولم تكن تجمعهم وحدة سياسية أو اجتماعية — تمكنت من أن تصبح دولة استعمارية قوية ؛ ووجدت فى بلاد الهند أسواقاً واسعة لتصريف منتجاتها ، وتضخمت رءوس أموالها عن طريق التجارة مع الهند . لذا كان من أول واجبات حكوماتها المتعاقبة المحافظة على هذا الكنز الذى تكاد موارده لاتفنى ؛ وأصبح من القواعد الكبرى الأساسية للسياسة البريطانية أن تعمل دائماً على أن تظل طرق المواصلات إلى الهند مفتوحة آمنة . ثم تطور التفكير فى خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر — نتيجة ضعف البلاد التى كانت تقع على هذا الطريق ، ونشاط حركة الاستعمار ، وتحقق نتائج التقدم الصناعى الذى جعل انجلترا وغيرها من الدول الغربية تشعر بقوتها — إلى ضرورة الاستيلاء على هذه البلاد نفسها .

وهذه البلاد — وهى التى عرفها الأوربيون — باسم « الشرق الأوسط » ، والتى تجمع أهم الأقطار الإسلامية — كانت كلها تابعة « للدولة العلية » . ولما كانت هذه

الدولة قد وصلت فى الوقت الذى أخذت فيه الدول الأوروبية تمتلك أسباب القوة — للأسباب التى أعددناها فى المقال السابق — إلى نهاية الضعف حتى صارت تدعى فى المجامع الدولية « الرجل المريض » ! ، فقد جنت على البلاد هذه التبعية شر جناية ؛ وأصبحت ضعيفة ، مثالاً للجمود والتأخر ، غير قادرة على الدفاع عن نفسها . ولم تكن هناك أية عقبة — لولا التنافس بين الدول الطامعة نفسها وعدم ملاءمة الظروف الدولية أحيانا — أمام أية دولة مستعمرة تريد أن تنفذ إلى أى منها وتبسط سلطانها عليها ؛ وإذن فقد جاء دورها ! ولم تكن انجلترا — حينما تهيأت لها الأحوال — غافلة ولا وانية عن انتهاز هذه الفرصة .

وكما حدث فى الهند كانت فرنسا هى البادئة بالاستعمار ؛ ثم جاءت انجلترا وقد دلتها خصيمتها على الطريق ، بعد وقت قريب أو بعيد ، تقفو إثر خطواتها ، ثم تعمل على أن تزاحمها لتشاركها فيه أو تنحيها عنه ! فقد كانت « الحملة الفرنسية » التى قام بها نابليون على مصر (١٧٩٨ — ١٨٠١) التجربة الأولى للاستعمار الغربى فى الشرق الأوسط . وكان من نتائجها أنها نبهت انجلترا إلى فوائد استعمار هذا الجزء من العالم ، وإلى خطورة موقعه من الناحية الحربية ، وبينت ضعف الإمبراطورية العثمانية الواهنة المفككة الأوصال ، التى كانت تدعى أنها حامية هذا الجزء ، فبعد فشل هذه الحملة لأسباب قومية ودولية من بينها هبّة الروح المصرية الإسلامية الكامنة لمقاومة الاعتداء الأجنبى بالرغم مما كانت تحمله من أثقال وما تعانيه من أدواء الحكم الاستبدادى الإقطاعى الغاشم ؛ مع مساعدة الظروف الدولية — بعد هذا بدأ تاريخ طويل من التنافس الاستعمارى بين الدولتين انجلترا وفرنسا كان هدفه محاولة الاستيلاء على بعض أملاك الدولة العثمانية ، فإن لم يمكن فبسط النفوذ على الأقل ؛ ومجموع أدوار هذا النزاع هو الذى يكوّن تاريخ الشرق الأوسط فى خلال القرن التاسع عشر ، ويعرف بالنسبة إلى الدولة العلية وعلاقاتها أيضاً مع روسيا باسم « المسألة الشرقية » .



كسبت فرنسا الجولة الأولى إذ نجحت فى أن ضمت « محمد على » إلى صفها وجعلت منه أداة لتنفيذ أغراضها الاستعمارية أو التمهيد لها لتكون وريثته بعد موته ؛ وقد كان نفوذها هو السائد فى مصر ، وكان رجالها هم مستشاروه ؛ وعملت على أن يكون لها تأثير فى الحياة المصرية وفى الشرق . فأذن لها الوالى بأن ترسل بعثاتها التبشيرية ، فوفدت إلى مصر ثم إلى سوريا ؛ وهى التى أوحت له بالنزاع بينه وبين سلطان الآستانة لينشغل عنها إذ كانت قد هاجمت « الجزائر » ١٨٣٠ واستولت عليها ،

واتستفيد أيضاً من الحرب التى تنشأ فى البلاد الإسلامية فى الشرق . وكان آخر ما كسبته ما استطاع «ديليسبس» أن يحققه من مشروع فتح « قناة السويس » فى عهد الوالى « سعيد باشا » الذى منحه كل ما طلب وفوق ما تمنى من أراضى مصر وأموالها وعمالها دون مقابل .

ولكن انجلترا تدخلت أولا لتفسد على فرنسا أغراضها فى نهاية حرب محمد على ، فأشرفت على عقد « معاهدة لندن » سنة ١٨٤٠ وأملت هى شروطها، وكانت كلها ضد فرنسا ومصالحها . ثم عادت إلى التدخل ثانية بعد أن تم فتح « قناة السويس» ١٨٦٩ وكان هذا التدخل هو أخطر الأعمال التى أقدم عليها الاستعمار فترتبت عليه شر النتائج وجاءت فى إثره الكوارث لمصر والشرق . سعت انجلترا أولا لشراء أسهم قناة السويس فتم لها ذلك فى تلك الصفقة المشهورة ، التى عقدها معها الوالى الفطن « إسماعيل باشا » ١٨٧٥ والتى يمتدح الانجليز وزيرهم اليهودى « دزرائيلى » على براعته فى عقدها ، ثم أخذت تتدخل كدائنة فى شئون مصر الداخلية حتى تمكنت أن تعين وزيراً للمالية أحد رجالها ؛ ثم استطاعت فى أوائل عهد توفيق أن تستولى على القصر ويكون قنصلها هو المستشار الأول للخديو ؛ وظلت ترتقب الفرصة حتى تتمكن من أن تضرب ضربتها الأخيرة بأن تحتل مصر !

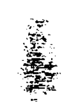


وجاء احتلال مصر فى عام ١٨٨٢ فكان أكبر كارثة منى بها الشرق والعالم الإسلامى ! وكان مما مهد له خيانة الشراكسة والأتراك الذين كانوا لا يزالون يسيطرون على الجيش ولا يزالون فى الحكم ، وتحالف والى مصر « توفيق باشا » مع أعداء البلاد ضد زعماء مصر الوطنيين والشعب الذى كان يتبعهم ويؤيد مطالبهم ، فهو الذى استدعاهم وطلب نجدتهم واحتمى بمدافعهم ؛ وما هذه إلا مأساة متعددة الفصول كثيرة الحوادث يطول شرحها . ولكن هذا الاحتلال فتح باب العدوان على جميع بلاد الشرق : فسارعت فرنسا إلى احتلال « تونس » ١٨٨٢ ؛ وطمعت انجلترا فى الاستيلاء على « السودان» ١٨٨٣ — ١٨٩٨ ؛ وتنازعت ألمانيا مع فرنسا على « مراكش» ١٩٠٦ ثم فرضت فرنسا حمايتها عليها ١٩١٢ ؛ ووثبت « إيطاليا » على طرابلس ١٩١١ ؛ وثارت دول البلقان فانتزعت من الدولة التركية نفسها كل ما كانت تملك فى بلادها ١٩١٢ ثم بعد الحرب العالمية الأولى وضعت انجلترا يدها على العراق وفلسطين ، وخلقت إمارة شرق الأردن تابعة لها ، وكانت قد أعلنت حمايتها على مصر ؛ واستأثرت فرنسا بسوريا ولبنان . بل احتلت هذه الدول « القسطنطينية » نفسها وشجعت اليونان

على غزو الأناضول ؛ وكاد يقضى على تركيا نهائيا لولا أن أنقذ حياتها البطل مصطفى كمال .

كانت هذه هى الذروة التى وصل إليها الاستعمار ؛ وهذه هى قصة المحنة التى ابتلى بها العالم الإسلامى منذ أواخر القرن الثامن عشر إلى أعقاب الحرب العالمية الأولى .

وكان المسئول عن هذه المحنة القاسية التى كلفته ثمناً غالياً واقتضته كثيراً من جهوده ودمائه ، بل كادت تودى به هم القادة الخونة والحكام المستبدون ، « والباشوات » الإقطاعيون ، والسلاطين المستهترون ، والجنود المأجورون ؛ والنظام السياسى الفاسد نفسه الذى كانت تتمثل فيه كل هذه المعائب ، والذى لم يكن متفقا مع روح العصر والذى نشأ عنه فشو الجهل ، وإهمال المرافق ، وتسيير أمور الحكومة بالرشوة إلى غير ذلك من المفاسد التى كانت من نتائجه .



وقد قامت حركات إصلاح كثيرة متعاقبة فى أنحاء الشرق لمقاومة هذا الضعف وتخفيف بعض شروره : فهبت الحركة الوهابية فى بلاد العرب ، ثم الحركة السنوسية فى ليبيا ؛ فثورة المهدى فى السودان ؛ وظهر المصلح العظيم جمال الدين الأفغانى وزميله الإمام محمد عبده ، داعيين إلى إحياء الروح الإسلامية لإنقاذ الشرق . وقام أحمد عرابى البطل المصرى بثورة ليقاوم استبداد الحكام الأتراك والشراكسة ، ومؤامرة أعداء البلاد عليها . وفى أوائل القرن العشرين ظهرت حركة مصطفى كامل ودعوته الوطنية الخالصة الملتهبة فى مصر . وفى تركيا نفسها تكونت جمعية « تركيا الفتاة » وزعيمها مدحت باشا المجاهد الدستورى الكبير ليضع حداً لاستبداد السلاطين الطغاة وحاشياتهم الآثمة المرتكبة كل كبيرة المعتدية على كل حق ، وما زالت حتى أثمرت « جمعية الاتحاد والترقى » التى ثلت عرش « عبد الحميد » وأنزلته من عليائه ، وخلقت من تركيا دولة جديدة حديثة . فكل هذه الحركات والثورات تدل على أن العالم الإسلامى — برغم المحنة العنيفة القاسية التى امتحن بها — بقيت روحه حية وكان فيه منبع للقوة الكامنة ، وذلك لأن الشعوب المظلومة المضطهدة المحرومة فيه خلافا لحكامها ظلت مستمسكة بمبادىء دينها محتفظة بروح الإسلام ، متطلعة إلى المثل العليا التى يدعو إليها تتشوق إليها فى حرقة ولهفة ، وتشجع كل مصلح . وهى تنتظر اليوم الذى تستطيع فيه أن تتحرر وتفرض إرادتها ، وتعمل على أن تحقق هذه المثل . وتلقى زمامها لمن يؤمن بها ويسعى إلى أن يجعل هذه المثل دستور الحياة .

وقد ظهرت نتائج هذه الجهود جلية واضحة بعد الحرب العالمية الأولى ، ثم الحرب

العالمية الثانية : فأخذت كل دولة تسعى إلى نيل استقلالها ، وطرد العدو المغتصب من أراضيها ، كما قام رجال فى كل منها بنهضات إصلاحية فى نواحى التعليم والاقتصاد والإنشاء .

وأشار كل هذا إلى حقائق لم يعد يشك فيها أحد وهى أن عهد الاستعمار قد بدأ فى الزوال ، وأن التقدم المادى والصناعى الذى مكن لدول الغرب من العدوان لم يعد مقصوراً على تلك البلاد ؛ وأن أقطار العالم الإسلامى خطت وتخطو خطوات واسعة فى سبيل التقدم .

ولذا فإنه أولى للدول الاستعمارية وعلى رأسها « انجلترا » أن تفهم روح العصر ، وتدرك مغزى هذا التقدم وتقرأ علامة الساعة . وتعرف أن الأمم الإسلامية قد استيقظت من رقادها وأخذت تسترجع روحها ، وأنها ودعت وراءها عهداً غابرا وبدأت تستقبل عهداً جديدا ؛ وقريبا ستستأنف زحفها وتسترد كل حقوقها . وإذن فإما أن تبادر تلك الدول إلى إطاعة إرادة الشعوب فى البلاد الإسلامية وتجيب مطالبها وتعاملها على قدم المساواة ، وإلا فإن العلاقات ستنقطع انقطاعا لا يعرف متى ينتهى ، ولا يكون هناك إلا ثورات المقاومة والجهاد فى سبيل الكرامة والحرية . ولن يكون هذا فى مصلحة تلك الدول ولا السلام العالمى ، وإن على انجلترا أن تنظر للمستقبل وتصافح العالم الإسلامى . وتحاول أن تفهم رسالته أو تدرك المثل العليا التى يطمح إليها ، والتى فيها خير الإنسانية وأكبر معزز لقضية السلام ؛ إذ أنها على طول صلتها بالعالم الإسلامى لم تحاول أن تفهم روحه أو تدرك تلك المثل ، وكان هذا هو السبب الذى نشأت منه متاعبها كلها ، والمصدر الذى نتجت عنه متاعبها ؟

سبحات فكر

للدكتور عبد الوهاب عزام

أذان دائم (١)

يدوّى على الدهر هـذا الأذان ... فما ينقضى ساعة واحـدة
إذا بلدة خفضت صوتهـا ... تنـادى التى بعدها جاهدة
فما سكت الصوت مرّ العصور ... ولم تُلفَ أنغـامه هامـدة
من السموات أنغـامه ... وتلقى الجبـال لهـا راعدة

فكيف غفت عنه هذى القلوب ... وظلت لترجيعـه جاحـدة
ولم تقشـعرّ بأصـدائه ... ولم تمسـك النغمـة الشاردة
كما أعلن الصـوت مذياعـه ... ودوّى بنغماته صـاعدة (٢)
أهذى القـلوب بأحساسهـا ... أقلّ من الآلة الجامـدة ؟

شقاء المرأة فى هذه المدنية

يحسب بعض الناس أن المرأة سعدت بهذه الحضارة التى تعيش فيها ، وحليت بهذه الزينات التى تحملها ، ولا أنكر أنها نالت أشياء من الحرية والمرح واللهو ، وأنها خلصت من كثير من العادات السيئة والمظالم البينة ، ولكنى أرى أنها نعمت بهذه الحضارة من وجه وشقيت من وجوه كثيرة ، وحسبى فى هذه الكلمة أن أعرض لوجه واحد .

كانت المرأة تملك الرجال بتصونها وحيائها ، وكانت لا تكشف إلا عن وجهها ولا يكون هذا إلا فى مجامع ضيقة ، وكان لها زينة يسيرة هى أن تقرب وجهها من الجمال الطبيعى بصبغة يخيل إلى الرائى أنها طبيعية .

---

(١) اختلاف التوقيت فى البلاد الإسلامية يؤدى إلى دوام الأذان فى كل وقت .
(٢) كيف لا تحس قلوب المؤمنين بالأذان كما يدرك المذياع الأصوات فيعلن بها .

فسفرت المرأة عن وجهها وغير وجهها وغشيت المجامع كلها ، وتزينت على وجوه من الزينة لا يحصيها العد ولا تحدها محاكاة الفطرة الجميلة . فصارت فى معرض ينظر فيه إلى جسمها كله ، وألزمت أن تنافس فى ضروب من الزينة يضيق عنها الوقت والمال ، فهى فى شغل دائم بأسباب الزينة ، وهى فى شغل دائم بالتزين فى المجالس والطريق ؛ وهى بعد العناء فى جمع المال وانفاقه فى الزينة وإضاعة الوقت فيها والإشفاق من أن تبور فى المعارض الدائمة فى الدور والمجامع والملاهى والطرق ؛ هى بعد هذا كله تطلب السعادة فلا تجدها ، وتبعد عن الفطرة ولا تقرب منها ، وتتبذل فلا تسيطر على الرجال سيطرتها الأولى ، وتفقد كرامتها من حيث تحسب أنها تحفظها . . . إن هذا لمسخ فى العقول يتجلى فى مسخ الأبدان والأزياء . .

. . . ثم إذا كبرت المرأة لم تنفعها الزينات ولم تظفر بوقار الكبر ، فهى فى قبحين من الكبر والصناعة ، وفى غمين من التزين والبوار . .



انف عن فكرك وكتابتك الصغائر

سمعت أيام الشباب أن أستاذاً إنجليزياً كان يقول لتلاميذه : إن مقدرة الباحث تبين فيما يحذف أكثر مما تبين فيما يثبت .

وشهدت صدق هذا القول فيما نقدت من رسائل الطلاب فى الجامعات إذ رأيت الطالب يكتب ما لا يحتاج إليه ، أو يزيد على مقدار الحاجة فيما يحتاج إليه ، وهذا عجز عن التمييز بين ما هو من الموضوع وما هو غريب عنه ، وعن إدراك المقدار الذى يلائم البحث والذى لا يلائمه ، وربما يدل الطالب على جهله أو عجزه بالإثبات أكثر مما يدل بالحذف .

ويمكن أن تطرد القول فيما تفكر فيه وما تقرأه ، فكم يفكر الإنسان فى لغو أو شر يشغله عن التفكير فى الصالح من الأمور أو الجميل منها ثم يدع فى النفس أثراً سيئاً .

وكم يقرأ الإنسان ما لا يستحق أن يشغل البصر والفكر فيخسر قراءة ما ينفع ولا تخلو قراءة اللغو والباطل من أثر سيء فى نفس القارىء .

فليجتهد المفكر أن يجتنب فيما يفكر فيه وفيما يكتب ويقرأ النوافل والتوافه والسيئات .

وليعمل المعلمون على أن يعلموا تلاميذهم أن يميزوا بأنفسهم الخير من الشر ، ويريحوا عقولهم من عناء التفكير فى اللغو أو الباطل ويكفوها مئونة ما لا خير فيه .

العوامل والمؤثرات التاريخية
وراء النظام الرأسمالى

الفصل الثانى من كتاب « الربا »

للأستاذ السيد أبى الأعلى المودودى

تعريب السيد محمد عاصم الحداد

مما يعرفه الجميع أن زمام الإمامة الفكرية والزعامة العملية فى العالم كان فى الزمن القريب ولا يزال بأيدى أهل الغرب . فمن نتائج ذلك الطبعية أن معظم مسائلنا اليوم فى حقول الاجتماع والسياسة والاقتصاد ، وكذلك كل ما يواجهنا فيها من المعضلات والمشاكل ، وليدة لتلك الأحوال والظروف التى أحاطت بالحياة الغربية وسببت فيها نفس هذه المسائل والمشاكل . وكذلك من تأثير هذه الزعامة الفطرى أن الأغلبية العظيمة من أهل الفكر والروية بيننا لا يلتمسون الصواب إلا فى اتباع أهل الغرب ولا يرون الرشد لأنفسهم إلا فى تلك الصور بعينها التى قدمها المفكرون فى الغرب لحل هذه المسائل . فلأجل كل ذلك لا بد لنا ، قبل كل شىء ، أن ننظر فى ما وراء المسائل العمرانية الحاضرة من العوامل التاريخية ، وأن ننظر فى الوقت نفسه فى منشأ ما يُقترح أو يُختار اليوم من صور لحل هذه المسائل ، وأن نبحث عن الأركان التى تستند إليها تلك الحلول والمقترحات . وسيساعدنا هذا البيان التاريخى فى فهم المباحث التى نريد الكلام عليها بصدد موضوعنا هذا .



نظام الإقطاعية :

ولما انقرض نظام الإمبراطورية الرومية الغربية فى القرن الخامس الميلاد ، انهار فى أوربا صرح الوحدة العمرانية والسياسية والاقتصادية وانفصمت الآصرة التى كانت قد ربطت بين مختلف الأقطار والشعوب ، ولم تعد قائمة تلك الإدارة التى كانت قد جعلت هذه الرابطة ممكنة ؛ وإن بقى فى أذهان رجال الغرب أثر للقانون الرومى والعالمية الرومية وأفكار الروم السياسية ، مما لا تزال له بقية حتى يومنا هذا . ولكنه لما أفلت شمس الإمبراطورية الرومية ، انقسمت بلاد أوربا كلها قطعاً صغيرة وتجزأ كل قطر جغرافى إلى أجزاء متعددة ، ولم تقدر طائفة من المنتمين إلى سلالة واحدة أو الناطقين بلغة واحدة أن يؤسسوا الوحدة لأنفسهم فى بقعة من بقاع البلاد . ومازالت عملية التجزئة تعمل عملها حتى تفككت المملكة إلى أجزاء صغيرة استولى عليها

وتمكن من سياستها والحكم فيها الرؤساء والإقطاعيون المحليون . فهكذا ابتدأ في أوربا ذلك النظام الخاص للحياة الذي يصطلح عليه « بنظام الإقطاعية » .

وفيما يلي نذكر ما نشأ وظل يرسخ في هذا النظام فيما بعد من الخصائص :

١ — تقررت حيازة الأرض أساساً لغلبة الإنسان وعلو كلمته واختصت السلطة والقوة والسيادة والشرف والحقوق المستقلة للذين كانوا ملاكا للأراضي في جزء من أجزاء البلاد . وهم الذين كانوا محافظين على الأمن في ذلك الجزء ، وهم الذين كانوا يتمتعون بالصلة المباشرة بالرئيس أوالاقطاعي أو الملك، وهم الذين كان يقضي أيام الحياة في كنفهم من كان لا يمت إلى طبقة ملاك الأراضي ، سواء أكانوا مزارعين أم أهل الحرف والتجارة ، فكأنهم جميعاً رعية لملاك الأراضي . ثم كانت في هذه الرعية أيضاً طبقات عديدة ، ففيهم الرفيع والوضيع . فهكذا تأصل في المجتمع التقسيم بين الطبقات ثم التمايز والتفارق في المراتب والاعتبارات والحقوق على أساسه ، واختار المجتمع في نظام الإقطاعية لنفسه شكلا كشكل المصعد ، كان الجالس على كل سُلم من سلالمه إلهاً جباراً لمن تحته وعبداً منقاداً لمن فوقه . وفوق الجميع أسرة الوالي في ذلك الجزء من الأرض وتحت الجميع عامة المساكين الذين ما كانوا يقدرون على أن يسوقوا أحداً بعصا الظلم والقهر .

٢ — والكنيسة المسيحية التي تنطق باسم الإله وتخاطب الناس على لسانه دون أن يكون عندها في حقيقة الأمر قانون إلهي أو مبادئ للارشاد محكمة ، كانت حديثة العهد في أوربا في ذلك الزمان ، فمدت يد الموالاة والمساعدة إلى هذا النظام الإقطاعي الناشئ وظلت تزود بمستند ديني جميع المنظمات والحقوق والامتيازات والقيود التقليدية التي نشأت مع هذا النظام وما فتئت تتغلغل في المجتمع . فكل فكرة إذا قدم عليها العهد ، أصبحت عقيدة الكنيسة ، وأصبح من الكفر والضلال التجرؤ على التفكير في خلافها . وكذلك أصبح كل رسم إذا تأصل في المجتمع مرة ، شريعة لا معنى للانحراف عنها إلا الانحراف عن الله ودينه . وكل ما تشكل من الأدب والفلسفة أو نظم الاجتماع والسياسة والاقتصاد بشكل مخصوص في نظام الإقطاعية ، قضت الكنيسة أن الله هو الذي وضعه على ذلك الشكل . ولأجل ذلك أصبحت كل محاولة لتغييره لا جريمة من الجرائم فحسب بل محظوراً دينياً أيضاً .

٣ — ولما لم تكن هناك إدارة ولا سلطة مركزية تعنى بإنشاء الطرق والشوارع الكبيرة وتتعهدها بالإصلاح وإقامة الأمن والراحة لأبناء السبيل ، انقطع الناس عن

الأسفار الطويلة والتجارة الواسعة وانكمشت التجارات والصناعات وكذلك العقليات فى الأجزاء الجغرافية الصغيرة التى رسم حدودها نفوذ الإقطاعيين وسلطتهم .

٤ — انفردت كل طائفة من الناس بفرع من التجارة والصناعة . فما كان يقدر أحد أن يخرج من مهنة طائفته التى ينتمى إليها ولا أن يدخل أحدٌ غيره فى مهنتها . بل أبت كل طائفة إلا أن تحد مهنتها لنفسها وتخصها لأفرادها دون غيرهم . فكانت البضائع تنتج للحاجات المحلية المؤقتة وتستهلك فى الأقطار المتجاورة وكثيراً ما كانت تتبادل بالغلات والحبوب . فهذه الأسباب المختلفة أوصدت على الناس أبواب الرقى والاتساع والاختراع والإصلاح الفنى وتجمع الأموال .

فهذه المفاسد التى نشأت وتولدت بسقوط الإمبراطورية الرومية وانهيار صرحها ، لم تتمكن من إزالتها الإمبراطورية الرومية المقدسة . فمهما يكن البابا والقيصر قد نجحا فى تزويد البلاد الأوربية من جديد بآصرة الوحدة من الوجهة الروحية والمعنوية ، ومن الوجهة السياسية أيضاإلى حدما، ماتغير بل رسخ وقام على الأسس المتينة ما اختارته المعيشة والمدنية والاقتصاد من الأشكال لنفسها فى نظام الإقطاعية ، حتى لم يعد الناس يتفكرون فى صورة غير هذه الصورة لنظام حياتهم .

البعث :

أما كيف وبأى أسباب كتب لهذا الجمود أن تتفكك عراه وابتدأت فى أوربا تلك الحركة الشاملة التى تعرف « بالبعث » (Renaissance) ، فلسنا فى هذا المقام بصدد البحث فى هذا الشأن إلا أنه لا بد من الإشارة إليه ولو بكلمة عابرة . وخلاصة القول أن استيلاء المسلمين على أسبانيا وصقلية فى جانب ، والحروب الصليبية المتتابعة فى جانب آخر ، هيأ لأهل الغرب مواقع الاتصال بالأمم التى كانت رافعة بيدها راية الحضارة والثقافة فى الدنيا فى ذلك الزمان . ولا جرم أن ما كان على أعين أهل الغرب من غشاوة التعصب من جراء تأثير الكنيسة فى قلوبهم ، قد حال دون التفاتهم إلى معين الإسلام رأساً ، إلا أن ما تيسر لهم من الاتصال بالمسلمين ومشاهدة أحوالهم عن كثب ، قد نفعهم من حيث ظفروا بثروة واسعة من الآراء والأفكار والطرق الراقية ، وهى التى مهدت لهم أن يدخلوا دوراً جديداً من حياتهم .

ولقد كان ما بين قرنى الرابع عشر والسادس عشر للميلاد فترة الانتقال من الدور المتوسط إلى الدور الجديد من تاريخ أوربا ، فقد انتعشت فى هذا الزمان كل ناحية من نواحى الحياة الغربية من جراء المؤثرات التى كانت ترد على بلادهم من الخارج .

من ذلك أنهم أخذوا يزدادون معرفة بعلوم الطبيعة والطب والهندسة والرياضة وما إليها من فروع المعارف الأخرى ، وساعدهم اختراع المطابع مساعدة عظيمة فى نشر الأفكار والعلوم . ومما استلزمته هذه اليقظة العلمية أن بدأت فى كل شعبة من شعب الحياة سلسلة الإصلاح والانتقاد ونفخت المعرفة بالفنون الجديدة حياة جديدة فى الصناعة والزراعة والتجارة وفى سائر نواحى المدنية عامة . ثم بدأت أفكار أهل الغرب وأنظارهم تتسع بالاكتشافات الجغرافية الحديثة . وكذلك قامت لهم فى البلاد البعيدة الأخرى أسواق أمكنهم أن يبعثوا إليها ويستهلكوا فيها منتجات بلادهم وموادها الخام ويشتروا منها منتجات البلاد الأخرى وموادها الخام . فبهذه الفرص بدأت تنفق من جديد سوق التجارة وقد كانت كاسدة منذ قرون . وعلى الرغم مما كان فى وجوه التجار من الصعوبات والعقبات أخذت تجارتهم فى الانتشار فى داخل أوربا وخارجها وما زالت تعمر وتتسع المدن على ملتقى الطرق التجارية الكبيرة وبدأ يتدرج مركز الثروة والقوة والذكاء والثقافة والمدنية فى التحول عن محال الولايات والإقطاعات الرئيسية إلى تلك المدن الكبيرة التى صارت أو كادت مركزاً للتجارة والصناعة والحركة العلمية والأدبية الجديدة .

وهذه الحركة الجديدة كان زعماؤها ورافعو لوائها أولئك الرجال من طبقة (البورجوازية) (Bourgeois) (أى التجار والمرابون وأهل الحرف والصناعات) الذين انتفعوا من فرص الرقى هذه وكانوا يسكنون المدن والحواضر ويختلفون إلى الخارج أو كانوا أول المواجهين لتيار الثروة الواردة على بلادهم من الخارج على الأقل فأحدث فيهم نزوعاً شديداً إلى التغيير والرقى . ولكن القيود الفكرية والخلقية والدينية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية التى كانت قائمة فى البلاد بموالاة الكنيسة للاقطاعيين ومساندتها لهم ، أصبحت عقبة كؤوداً فى سبيل نهوض هؤلاء وتقدمهم فى كل جانب . ففى أى ناحية من نواحى الحياة أرادوا أن يخطوا خطوة خارج الدوائر القائمة الجامدة منذ قرون ، قام فى وجوههم البابوات والاقطاعيون وصدوا عليهم طريقهم . ومن ههنا شجرت بين الفريقين مشاكسة شديدة ونشبت حرب شاملة فى كل ميدان من ميادين الحياة الاجتماعية . ففى ميدان العلم والأدب تُحدى الاستبداد العقلى الذى سلطته عليهم الكنيسة ومُجدت حرية الرأى والتحقيق . وفى ميدان المدنية والسياسة والاقتصاد تُحديت سلطة الاقطاعيين وجبروتهم ورُفع الصوت بالاستنكار خلاف سائر الامتيازات والفوارق التى كانت قائمة تحت نظام الاقطاعية

فى ذلك الزمان . وما زالت هذه المحاربة والمشاكسة تنتهى شيئاً فشيئاً إلى انكسار النظام القديم وتقدم هذه القوى الناشئة الجديدة وعلو شأنها ، حتى لقد آل الأمر فى القرن السادس عشر إلى أن بدأت الاقطاعيات الصغيرة فى مختلف بلاد أوروبا تنقرض وتنضم إلى الولايات القومية الكبيرة . وكذلك تقلص ظل سلطة البابا الروحية وتجردت القلوب من هولها وشرع حكام الولايات القومية اللادينيون فى مصادرة أملاك الكنيسة وبدأت الشعوب المختلفة تعرض عن النظام الدينى العالمى وتؤسس لنفسها كنائس قومية مستقلة كانت خاضعة مفتقرة للولايات القومية ولم تكن فى حال من القوة تجعلها منافسة ومنازعة أو محالفة متساندة . فهكذا مع انكسار غلبة الكنيسة والاقطاعيين المشتركة وتفكك قيودها ظلت طبقة « البورجوازيه » تتحرر عما كان النظام القديم ألقى فى سبيلها من العقبات الاجتماعية والتقليدية .

مذهب الحرية والتجدد فى الدور المتوسط

والنظريات التى أقيمت لأجلها هذه الحرب الطاحنة على الكنيسة ونظام الإقطاعية ، كان على رأسها وفى مقدمتها الحرية (Liberalism) : ولقد كان الزعماء المجددون ممن رفعوا لواء هذا المذهب الجديد يدعون الناس إلى الحرية والمسامحة ورحابة الصدر فى كل شعبة من شعب الحياة وفى كل ميدان من ميادين الفكر والعمل ، سواء أكانت تلك ميادين الدين والفلسفة والعلوم والفنون والآداب أو ميادين المدنية والعمران والسياسة والاقتصاد ، فإنهم أرادوا أن يزيلوا عن طريق الرجل الحر المجدد كل ما يقوم فى وجهه من القيود والعقبات والتضييقات والاضطهادات . والحق أنه لم يكن أحد من الفريقين — طبقة (البورجوازية) أهل الكنيسة والاقطاعيون — فى هذا الصراع على طريق من النصفة والاعتدال . فكما كانت حرية (البورجوازيه) وتجددهم تذهب بهم إلى غاية ، كذلك كان ضيق نظر أهل الكنيسة والإقطاعيين تسوقهم إلى غاية أخرى . فهم على طرفى نقيض وكانت يد الأثرة عاملة فى كلا الجانبين ولم يكن لهما أدنى علاقة بالحق والعدالة والعلم الصحيح والفكرة الصالحة . فإن كانت طائفة قد استغلت اسم الله والدين والأخلاق فى سبيل مدافعتها عن العقائد الملفقة والفوارق الشنيعة والحقوق القائمة على القهر والعنف ، كانت طائفة أخرى قد ذهب بها المغالاة فى العناد للطائفة الأولى أن جعلت تزعزع باسم الحرية والمسامحة ما كان فى الديانة والأخلاق من الحقائق التى مازالت مسلما بها منذ أول أمرها وهذا هو الزمان الذى قطعت فيه الأواصر التى تربط السياسة بالأخلاق وابتدع النظرية القائلة بأن لا حاجة

إلى مراعاة المبادىء الخلقية فى الحصول على الأغراض والمصالح السياسية . وهذا هو الزمان الذى نحتت فيه أصنام القومية والإقليمية والدولة القومية بإزاء الكنيسة والإقطاعيين . وبذلك بذرت بذور الفتنة التى جعلت من العالم اليوم بركانا من الحروب والمناوآت القومية . وهذا هو الزمان الذى نشأ فيه لاول مرة فكرة جواز الربا وإباحته ، مع أن أهل الدين والاخلاق وعلماء القانون مازالوا مجمعين على حرمته منذ أقدم الزمان ولم يحرمه التوراة والقرآن فقط بل كان أرسطو وأفلاطون من القائلين بحرمته أيضاً . وكذلك كان محظوراً منهياً عنه فى قوانين اليونان والروم . ولكن لما قامت طبقة (البورجوازيه) فى دور البعث (Renaissance) وحملت بيدها ماحملت من راية الخروج على الكنيسة المسيحية ، قالت لأول مرة أن الربا محظور لاقبل للانسان باجتنابه ، إلى أن أثرت هذه الدعاية فى المجددين المسيحيين وسخرت قلوبهم فبدأوا يبيحونه متذرعين بحيل الاضطرار لما فطر عليه الإنسان من الضعف والوهن . ثم تركز الكلام الخلقى كله شيئاً فشيئاً فى سعر الربا ، ومايبنغى أن يكونه . وجعل أهل الفكر الممتازون يؤكدون أنه ينبغى أن يكون سعر الربا متناسباً معقولا . وأخيراً تأصلت فيهم الفكرة القائلة بأن لاعلاقة للدين والأخلاق بالمعاملات التجارية وأن الربا شىء فطرى معقول من الوجهة الاقتصادية . فكما أنه لايعترض على كراء الدار ، كذلك ماهناك من دليل عقلى على حرمة الربا .

ومن عجيب الامر أن كل ما انتزعته البورجوازيه ، من حقوق متنوعة من أيدى البابوات والاقطاعيين وملاك الأراضى بدعايتهم وجهودهم المتتابعة بدأوا يستأثرون بها دون غيرهم فى دور البعث نفسه ، ولم تذكرهم حريتهم ومسامحتهم أن فى الشعب طبقة أخرى دونهم قد ذاقت من شدائد النظام الإقطاعى وويلاته مالم تذقه طبقة أخرى فمن حقها الآن أن تنال نصيبها من ثمرات هذا النظام الحر الجديد وفوائده : وخذ لذلك مثلا أنه لما تأسست الحكومة فى بلاد انجلترا على الطراز البرلمانى وانتقل زمام السيادة الحقيقية فى البرلمان من أيدى الشيوخ (Lords) إلى أيدى العوام (Commons) ، استأثرت بهذه السلطة كلها (البورجوازيه) المتشدقة بالحرية والمساحة وسعة الصدر ، ولم يتذكروا عندما أبوا أن يعطوا الجمهور حقهم فى التصويت نفس تلك الحجج التى نالوا بها حق التصويت لأنفسهم .

(للبحث بقية)

حَرُّ الصَّيف والحج

بقلم طبيب كبير

كان الحجاج يفرحون بلقاء ربهم فى الأرض المقدسة تقرباً إلى الله . وكان أهلوهم يفرحون بهم إذا رجعوا إليهم بسلامة الله ورضوانه . ذلك لأن عوامل شق كانت تشترك فى إرهاق الحجاج وإزهاقهم . فسوء الطرق ووسائل النقل وبعد الشقة والأوبئة والحر الشديد ، كل هذه أو بعضها قضى على كثير من الحجاج فى الماضى .

أما اليوم فقد عبدت الطرق ، وسهلت وسائل النقل ، وقربت القاطرة والباخرة والسيارة والطيارة كل فج عميق ، وقضى التعليم والتطعيم على أكثر الأوبئة حتى صار الحج شتاء نزهة محببة ومتعة للروح والبدن . . . فإذا جاء موسم الحج صيفاً لقى الناس من فيح الرمال والجبال نصباً ، لأن أرض الحجاز صحراء تزيد حرارتها نهاراً على حرارة البدن . والأرض موصل ردىء للحرارة ،فهى تسخن سريعاً بوهج الشمس ، ثم تشع حرارتها إلى كل شىء يقل عنها حرارة ، وبحر الهواء وفيح الأرض الملتهبة ترفع حرارة الإنسان .

وتبخر الماء عن سطح الجسم يبرده ، والجسم السليم قادر بالعرق على خفض حرارته الذاتية وما زاد عليها من حر الهواء والأرض . وجو الحجاز حار جاف كفيل بهذا التبخير ، حتى أن الجلد قد لا يبتل على كثرة العرق حين تزيد سرعة التبخر على سرعة العرق . وسواء كان العرق ظاهراً أو خفياً فإنه ضرورى لتنظيم حرارة الإنسان .

وفى الصحراء ليلا تهبط حرارة الهواء والأرض بسرعة فيبرد الجو برودة يتقيها البدو بالملبس الثقيل الواقى ، وهذا لا غناء فيه عند القيظ ، وربما كان فيه عناء كبير . وفى برد الليل تستريح غدد العرق ، ويعوض البدن ما فقد بالعرق من ماء وملح ، وتنخفض حرارة الجسم ظاهرة وباطنة إلى الدرجة الطبيعية ، وبذلك يستجم البدن استجماماً يستطيع به من الغد أن يستأنف تنظيم حرارته بنشاط مجدد .

وكثير من بلاد المسلمين فى اندونيسيا وآسيا وعلى الخليج الفارسى وفى قلب افريقيا حار رطب ، وأهلها أقل من أهل البوادى صبراً على الحر .

ويمكن تلطيف أثر الحر بتعديل المسكن والملبس والمأكل والمشرب والحركة والسكون ، ففى الجو الجاف يتقى حر الشمس بملابس تعكس أشعة الحرارة ولا تمتصها ،

ذات لون أبيض ، خفيفة لا تعوق تبخر العرق . وفى الجو الرطب لا يطيق الجسم الملابس مهما خفت لأنها تعوق الابتراد بالهواء .

والناس لايستوون فى القدرة على مجاهدة الحر ، ويمكن تحسين هذه القدرة بالتعرض التدريجى للحر حتى يعتاده البدن ، وعندئذ تشتد حساسية غدد العرق فتقوى على الإفراز المبكر الكثير ، وتتسع شرايين الجلد فتخف حرارة الدم ، وأهل البادية والجفاف أقدر على الحر وأصبر من أهل المروج والغابات والرطوبة ، وليس من الهين التنبؤ بهذه القدرة لكل إنسان .

وفى الماضى كان بطء الانتقال يتيح للحاج فسحة من الوقت يتدرج فيها على تحمل حر الحجاز ، ولكن سرعة الطيران اليوم قضت على هذا التدرج فأصبح الحاج أكثر عرضة لأذى الحر إذا جاء من جو بارد أو جو رطب ، إلا أن يكون قد تأهب بالتدرب على الحر قبل أن يحج طائراً .

مضار الحر

فى الحر تتسع شرايين الجلد لدم كثير فيسخن ثم يشع حرارته فيما حوله فيبرد ، وهذا عناء شديد يجهد الأوعية الدموية وأعصابها ، ويعطل فى أوعية الجلد قدراً كبيراً من الدم لا غنى عنه لصيانة الأعضاء الداخلية ، والقدرة على مجاهدة الحر تستند إلى سلامة الأوعية الدموية ، وإلى قوة أعصابها وكلاهما يضعف بالتصلب وكبر السن .

وإفراز العرق أهم العوامل على مجاهدة الحر ولكن غزارته قد تضر . ويتكون العرق من ماء وملح يفقدهما الجسم ، وفقد الماء يحسه الإنسان عطشاً فيرتوى . ولكن نقص الملح لا يحس ، فيسبب أمراضاً وأعراضاً يشفيها الملح . والإنسان يفقد الماء والملح أيضاً فى القىء والإسهال . وقد يتعطل العرق إطلاقا .

وليست أشعة الشمس أشد أذى من الحر الشديد . وفائدة الظل أنه يقلل ما يصيب الإنسان من إشعاع الحرارة . والشمس مصدر حرارة فحسب ، وضررها سببه حرها لا أشعتها ، وإذن فلنسم أذاها « ضربة الحر » لا « ضربة الشمس » كما يقال ، وأظهر أنواعها ثلاثة :

١ ــ إجهاد الحر: يصيب من يكثر الحركة ومن لم يعتد الحر . وأعراضه : شعور مرهق بالدفء . صداع . قصور الفكر . قلق . زيغ البصر . سرعة النبض . غثيان . وقد تزيد الأعراض بالحركة ودوام الحر ، حتى يحدث هبوط شديد ، وقلة وعى ، وفقد رشد ، وارتفاع حرارة .

٢ — إجهاد الحر مع كثرة العرق : غزارة العرق تقلل الماء والملح ، وتضيف إلى أعراض إجهاد الحر — أعراض هبوط دورة الدم والجفاف ، فيسرع النبض ، وينخفض ضغط الدم ، وتغور العينان ، ويجف اللسان ، وتقل مرونة الجلد ، وينقص البول ، وتضعف الشهية الغذائية ، وقد يحدث قيء ، أو اضطرابات نفسانية شديدة ، وربما تتقلص العضلات ، والجلد رطب والعرق مستمر ، والعلاج محلول ملح بمقادير كبيرة قد تبلغ ٤٠ جم ملح فى ٤ لتر ماء أولا ثم نصف هذا القدر من الماء والملح يوميا ، عوضا عما يفقده الجسم بالعرق والبول والتنفس .

٣ — إجهاد الحر مع قلة العرق : أهم أعراض غزارة العرق فى الوجه وقلته فى سائر البدن . وتبدأ أعراض الإجهاد على أثر هدوء الطفح وانقطاع العرق . ولا دواء لقلة العرق فقد يعود فى بضع أسابيع أو شهور . وإذا ارتفعت الحرارة وجب خفضها بكل الوسائل ومن أهمها الثلج .

ولا يمكن التنبؤ بكفاءة إفراز العرق ، ففى الحر الجاف قد لا يبتل الجلد لسرعة التبخر ، وفى الحر الرطب قد يبدو الجلد رطبا لبطء التبخر .

طرق الوقاية من الحر

يستطيع الحجاج أن يستعينوا على الحر باتباع ما يأتى ما أمكن :

التعود : أهل البوادى الذين درجت أبدانهم على حر الصحراء لا خوف عليهم . أما أهل الحضر والرفاهية فمتى صحت عزيمتهم على الحج وجب أن يخشوشنوا بتعريض أنفسهم لحر الشمس قليلا قليلا كل يوم أسابيع أو شهوراً ، وكلما طالت فترة التدريب كان ذلك خيراً وأبقى .

الكساء : خفيف أبيض . حذاء بسيط . شمسية (مظلة) فى الإحرام . غطاء للرأس . وشال خفيف للرقبة فى غير الإحرام .

المسكن : المبانى تفتح نوافذها ليلا وتغلق نهاراً . الخيام ذات السقف المزدوج .

الغذاء : خفيف قليل اللحم والشحم والدسم مثل : الخضر والفاكهة والحلوى والجبن المملح وشرب الشاى الخفيف المحلى بالسكر .

السكون وعدم الحركة ولزوم المساكن والخيام فى القيلولة وشدة القيظ .

المرض : الضعف والشيخوخة وتصلب الشرايين وأمراض القلب والكلى وغيرها من الأمراض المزمنة قد تمنع من حج الصيف .

وللامساك يكفى تناول ملين خفيف يعين على التبرز مرة أو مرتين لا أكثر ، فالاسهال ضار فى الحر .

المصحات والمشافى المعدة للعناية بالحجاج كفيلة بعلاج المرضى ومن أضر به الحر بالمجان .



« ... وهذا باب جديد من أبواب مجلتك أيها القارىء العزيز ... نفتتحه ليكون صلة بيننا وبينك ، وندوة نجتمع فيها كلما عن لك رأى أو خاطر ؛ فالاسلام دين جماعة وأمته — حين تصدق — لا يمكن إلا أن تكون موحدة العاطفة والفكرة ... وهذه الوحدة لا تخلص إلا إذا تبادل المسلمون النصح وأخلصوه لله وهذه مهمة الباب الجديد ، والله المستعان » .

التحرير

كانت طليعة الخير فى هذا الباب رسالة كريمة من سماحة الأستاذ السيد أبى الأعلى المودودى أمير الجماعة الاسلامية بالباكستان نقتطف منها ما يلى :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فقد تلقينا وقرأنا الأعداد الخمسة الأولى من مجلتكم الزاهرة التى هى نعمة كبرى أنعم بها الله تعالى على الأمة الاسلامية فى هذا الزمان وأيم الحق أنها قد ملأت فراغاً عظيما فى المجتمع الاسلامى الحاضر الذى كان متعطشاً منذ زمان غير يسير إلى مثل هذه المجلة العلمية الجامعة التى تضم بين جوانحها صفوة كتاب العالم الاسلامى ورجاله المفكرين البارزين بعد مجلتى « النار » و « الزهراء » . ولا شك أن « الشهاب » جاءت قبل أربعة أعوام واستنارت بها أركان العالم الاسلامى واستفاد منها المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها واسترشدوا بها إلى الاسلام الخالص ؛ ولكن من دواعى الأسف وبواعث الأسى أن الحياة لم تطل بها كثيراً مما هب عليها من أعاصير السياسة الداخلية العوجاء . ثم حدث بعد ذلك ما حدث فأما الآن ، وقد برز الاخوان إلى الميدان من جديد واستأنفوا دعوتهم إلى الحق ، فكانت الحاجة شديدة جداً إلى مثل هذه المجلة التى تعرض الاسلام على المسلمين بأسلوب علمى جديد يوافق عقول الناس وأذواقهم فى هذا الزمان . فمن فضل الله عليكم وإكرامه لكم أن أتاح لكم إصدار مجلة « المسلمون » على غرار « الشهاب » ، فكان بها سرورنا وسرور المسلمين فى جميع الأقطار عظيما لما وجدوا فيها من أمنيتهم ولما ترشد إليه هذه المجلة من نهج سوى وفكرة سليمة وطريق إلى البحث مستقيم عادل .

ولا غرو، فقد خصها صفوة رجال العالم الاسلامى بنتاج أفكارهم وذوب أرواحهم والله تعالى نسأل أن يذلل من سبيلها العقبات ويسهل عليها مهمتها ويهىء لها أسباب الرقى والتقدم وينير بها العالم الاسلامى كله ، إنه سميع مجيب وهو يتولى الصالحين .

اللهم آمين .

ونحن نشكر لسماحته جميل تقديره ، ونضرع إلى الله أن نكون عند حسن الظن بنا وأن يجنبنا زلل النفس والقلم ، وأن يحقق بهذه المجلة الناشئة ما استهدفناه من خير الاسلام والمسلمين ، ونسأله سبحانه أن يجعلها امتداداً صادقاً للمنار والزهراء والشهاب ، وهو وحده المسئول أن يحقق الآمال .

***

وهذه رسالة ثانية من الأخ الكريم الأستاذ أبى يعلى حافظ البطة : خان يونس . فلسطين يقول فيها :

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته . وبعد فقد وقع لى العدد الأول من مجلتكم (المسلمين) فقرأت بعضه وحمدت الله تعالى وشكرت لكم همتكم العالية . بيد أنى وجدت فيما قرأته أشياء يجب التنبيه عليها . الأول : أنكم اخترتم العنوان لأن صدركم انشرح له . وهذا حسن فى ذاته ولكنى رأيتكم تلتزمون كتابته فى حالات الرفع والنصب والجر بصورة واحدة هكذا (المسلمون) وهذا خطأ لأن هذا اللفظ جمع مذكر سالم يرفع بالواو وينصب ويجر بالياء وإن سمى به . وقد سبقكم إلى هذا الخطأ جريدة الإخوان المسلمين فإن كنتم تعرفون وجهة صحته فى اللغة العربية فآمل أن تتفضلوا بإرشادنا إليها مع ذكر الدليل خصوصاً وأن التحقيق أن اللغة العربية لغة سماعية كما تعرفون .

الثانى : أنى رأيت فى ص ٢ من العدد آنف الذكر . (وبعد فهذه مجلة الشهاب نتقدم بها إلى القراء الكرام) الخ وفى ص ٤ منه (ومنذ سنوات تقدم فضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت عقب انضمامه إلى هيئة كبار العلماء المصرية باقتراح إلى هذه الهيئة) الخ وفى ص ١٢ منه أيضاً . (فنحن إذ نتقدم اليوم بمجلة (المسلمون) لتأخذ بإذن الله مكانها) إلى آخر ما قلتم . وإنى أرى استعمال تقدم ونتقدم بكذا الخ لا يوافق ما تقصدون جميعاً فمعنى تقدم إليه بكذا أمره به وهذا غير ما تريدونه قطعاً فقد قال فى المصباح المنير (وتقدمت إليه بكذا أمرته به وقدمت إليه تقديماً مثله) وقال فى الأساس (وتقدمت إليه بكذا وقدمت أمرته به) اهـ المراد . والصواب هنا أن تقولوا (فنحن الآن نقدم مجلة المسلمين) ومنذ سنوات قدم الأستاذ اقتراحاً الخ مثل هذه التراكيب

ورأيت فى ص ٧٥ تحت عنوان (النية) للأستاذ الكبير مصطفى صادق الرافعى رحمه الله تعالى (وقد لا يستطيع المؤمن أن يأتى الخير فى بعض أحواله) الخ فأقول : إن لفظ (قد) الحرفية لا يدخل على الفعل المنفى فقد قال فى القاموس المحيط :والحرفية (يعنى قد) مختصة بالفعل المتصرف الخبرى المثبت المجرد من ناصب وجازم وحرف تنفيس) وهذا ما عليه كتب النحو التى بأيدى الناس . ولو قال الأستاذ الرافعى :(وربما لا يستطيع المؤمن الخ) لأصاب المحز وطبق المفصل .

الثالث : أنى قد رأيت فى مقال الأخ المجيد الدكتور معروف الدواليبى مسائل تتعلق بالقرآن الكريم ولما كان القرآن الكريم هو القرآن الكريم وجب على كل مسلم مقتدر على نفى الخطأ عنه أن يبادر إلى ذلك ولذا أكتب ما يأتى بهذا الشأن العظيم بنية حسنة وقصد جميل قال فى ص ٢٣: وقد أنزل على محمد ص (يعنى القرآن الكريم) منجما ليلة السابع عشر من رمضان للسنة الحادية والأربعين من ميلاده إلى التاسع من ذى الحجة يوم الحج الأكبر للسنة العاشرة من الهجرة الخ . فجعل نزول القرآن الكريم لم يتجاوز يوم عرفة . وهذا مخالف للواقع فقد استمر نزول الوحى عليه صلى الله عليه وسلم إلى قبيل التحاقه بالرفيق الأعلى . فقد ذكر أستاذنا حجة الإسلام الثقة السيد محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى عن الإمام ابن جرير أنه نقل اتفاق العلماء على أن الوحى لم ينقطع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن قبض ، وكونه كان قبل وفاته أكثر ما كان تتابعا . وذلك أثناء تفسيره (اليوم أكملت لكم دينكم) الآية . وقد قال الدكتور معروف فى الصفحة نفسها أيضا وآخر ما نزل منه قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا) وقال فى صفحة ٢٥ ذلك وأن الإسلام وإن سماه القرآن دينا عملا بآخر آية نزلت منه وهى قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم الخ الآية) فأنت ترى أن الدكتور جازم بأن هذه الآية آخر القرآن الكريم نزولا وأنا أقول : إن هذه الآية نزلت كما قال يوم عرفة ولكنها بينها وبين وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم مدة طويلة قدرها بعضهم بواحد وثلاثين يوما . وقد قال الإمام السيوطى فى كتابه الإتقان فى علوم القرآن (النوع الثامن معرفة آخر ما نزل) فيه اختلاف وذكر روايات متعددة أرى أرجحها ما أخرجه النسائى من طريق عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه قال . آخر شىء نزل من القرآن (واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله) الآية وهذا يوافق اتفاق العلماء على استمرار نزول الوحى بعد حجة الوداع إلى أن قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم كما مر عن الإمام بن جرير وفى الإتقان أيضاً وأخرج ابن أبى حاتم

عن سعيد بن جبير قال : آخر ما نزل من القرآن كله (واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله) الآية وعاش النبى صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية تسع ليال ثم مات ليلة الإثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول . ا ه

فما جزم به الدكتور معروف خطأ يحتاج إلى التحقيق العلمى فمسائل القرآن ورواياتها لا بد فيها من معرفة قويها وضعيفها وتقديم راجحها على المرجوح منها . ثم رأيته يقول فى تلك الصفحة وقد بلغ مجموع ما فى القرآن من آيات (٦٣٤٢) آية الخ. والصواب خلاف ما قاله الدكتور فقد جاء فى إتقان الإمام السيوطى ما يأتى : قال الإمام الوافى : أجمعوا على أن عدد آيات القرآن ستة آلاف آية ثم اختلفوا فما زاد على ذلك فمنهم من لم يزد ومنهم من قال ومائتا آية وأربع آيات وقيل وأربع عشرة وقيل وتسع عشرة وقيل وخمس وعشرون وقيل وست وثلاثون ا ه وأنت إذا رجعت إلى المصحف الذى أمر بطبعه جلالة الملك فؤاد رحمه الله تعالى ورأيت ما كتبته اللجنة المؤلفة لرسم هذا المصحف برياسة حفنى بك ناصف رحمه الله تعالى والتى كانت تحت إشراف مشيخة الأزهر الشريف لرأيتها تقول : واتبعت فى عد آياته طريقة الكوفيين عن أبى عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمى عن على بن أبى طالب على حسب ما ورد فى كتاب (ناظمة الزهر) للامام الشاطبى وشرحها لأبى عبد الله المخللاتى . وكتاب أبى القاسم عمر بن محمد بن عبد الكافى وكتاب تحقيق البيان للأستاذ الشيخ محمد المتولى شيخ القراء بالديار المصرية سابقا وآى القرآن على طريقتهم (٦٢٣٦) ا ه. وهذا العدد موافق لآخر عدد نقله الإتقان عن الدانى كما تقدم .

هذا وقد أرسلت لكم هذه المقالة آملا نشرها فى أول عدد من مجلتكم النافعة بعد وصولها ولكم منى خالص الشكر ومن الله تعالى جزيل الأجر والسلام ؟

ونحن نشكر للأخ الفاضل عنايته ودقته واهتمامه جزاه الله خيرا . أما عن التزام الرفع فى اسم المجلة فالجواب على سؤاله من وجهين : الوجه الأول أن جمع المذكر السالم إذا سمى به جاز فيه أن يلتزم حالة التسمية وقد التزمنا فى هذه الحالة الرفع ، وجاز معه أن يتبع العوامل رفعا ونصباً وجراً . والوجه الثانى أنه مرفوع على الحكاية دائماً ؛ ويراجع فى ذلك حاشية الصبان على الأشمونى .

وأما عن استعمال تقدم بكذا ، و « قد » فإن كتب اللغة المعتمدة على ما ذهب إليه الأخ الكريم .

وأما ما يتصل بمقال الأستاذ الدكتور معروف الدواليبى فإنا نترك له الرد عليه إلا أننا نرى أن الأمر فيها متعلق بمسائل خلافية أخذ فيها الدكتور معروف بقول مشهور .

مع العارفين

(٣) الإمام الممتحن أحمد بن حنبل

توافد جماعة المعتزلة وعلى رأسهم احمد بن أبى دؤاد إلى قصر الخلافة بسامرا حيث اتخذوا مجالسهم فى مجلس الخليفة المعتصم. وجلس فى صدر المجلس يحف به كبار القواد من خراسان وقوفا على رأسه وكان مطرقا تبدو عليه أمارات القلق والهم، ثم رفع رأسه بعد برهة ونظر إلى احمد بن أبى دؤاد وهو يقول:

هيه يا ابن أبى دؤاد: أما زلت مصرا على رأيك فى محنة هذا الرجل؟

فقال ابن أبى دؤاد — وقد أفزعه ما رأى على وجه الخليفة وما سمع من كلامه الذى ينم عن رغبته فى ترك احمد بن حنبل بدون محنة: إنه ضال مضل مبتدع، وإن ضلالته تلقى رواجا بين العامة... ثم سكت قليلا وقال: وماذا تقول لابن عمك رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قال لك يوم القيامة يعاتبك، تركت احمد بن حنبل يلبس على الناس دين الله الذى تركته لهم نقياً صافياً ويدخل الزيغ على عقائدهم ويعلمهم أن الله يتكلم بجارحتين غير منزه عن التشبيه والتجسيد.

فقال أحد الجالسين من كبار المعتزلة: يا أمير المؤمنين، إن هذا كفر بواح، وإن هذا الرجل يذيعه فى الناس! وقد أقامك الله فينا لترعى هـذه الأمانة التى جاهد ابن عمك رسول الله فى تقريرها... وهل بعث ابن عمك صلى الله عليه وسلم إلا لينفى عن الله التشبيه والتجسيد...؟ اقتله يا أمير المؤمنين ودمه فى رقابنا!

قال المعتصم: وكيف نقتله وقد بلغنى أن الناس قد ملئوا الطرق والميادين ووقفوا بأبواب الشوارع وأخذوا أسلحتهم وهم يقولون: إن احمد بن حنبل يفتن اليوم، وقد علموا أننا أحضرناه من سجنه ببغداد إلى هنا.

فقال المعتزلى: ومتى كان عوام الناس يا أمير المؤمنين حكما فيما لا يفهمون؟ إن هذا أدعى إلى أن تعاجله قبل أن يستفحل أمره.

فقال معتزلى آخر: وما عليك أن تقتله يا أمير المؤمنين وقد كان أخوك المأمون أحضره من بغداد إلى طرسوس ليقتله على هذا الكفر.

فقال ثالث: نعم يا أمير المؤمنين، فلو مد الله فى عمر الخليفـة المـأمون أياما قليلة لقتله، ولـكنه مات قبل أن يصل هذا الضال المضل إلى عسكره.

قال المعتصم : نعم ، وقد أوصانى أمير المؤمنين المأمون أن أقمع رجال البدعة ولاسيما هذا الرجل فهو ذو حظ فى الناس ومنزلة كبيرة لدى عوامهم ، ولكنى أخشى الفساد . والناس اليوم فى هرج ومرج كأنما استعدوا للفتنة والهياج .

فقال أحد المعتزلة : إن العوام لايخشى بأسهم إلا إذا كان زمامهم بيد رجل يدبر أمرهم ويجمع شملهم . . . وأنت يا أمير المؤمنين قد أمكنك الله من هذا الرجل . وهو فى سجنك تحت حراسة الحفظة من رجالك لم يتصل بالناس ولم يتصل الناس به منذ ثمانية وعشرين شهراً .

فقال المعتصم : وكأنما راعه طول المدة : منذ ثمانية وعشرين شهرا ؟ ما أسرع ماتمر الأيام .. !

قال المعتزلى : أهى كثيرة يا أمير المؤمنين؟ إنه لو أمضى ثمانية وعشرين عاما لكان ذلك دون ما يستحق . . ! إن أحداً لن ينسى له سوء أدبه يوم جاء كتاب أمير المؤمنين المأمون إلى والى بغداد اسحاق بن ابراهيم .

فنظر المعتصم كأنه يستوضح المعتزلى مايقول ! فانطلق المعتزلى يقول . نعم ، كان أمير المؤمنين فى جيشه خارج طرسوس يغزو فى سبيل الله ، فى حين كان هذا الرجل وأمثاله من شيوخ البدعة ينشرون ضلالهم فى الناس ، فلم يشغل أمير المؤمنين ماهو فيه من الجهاد عما يعمل هؤلاء القاعدون المفسدون فأرسل بكتبه إلى والى بغداد إسحاق بن ابراهيم كتابا فى إثر كتاب يطلب إليه أن يدعو رءوس التشبيه والتلبيس ويعرض عليهم أن يجيبوه إلى العقيدة الصالحة فكلهم أجاب أمير المؤمنين وأقروا على ملأ الناس بأن القرآن مخلوق إلا هذا الرجل العنيد . فان شؤمه لم يرض له بالكفر حتى أضاف إليه سوء الأدب مع إمامه . فلما علم بذلك أمير المؤمنين أمر بأن يوجه إليه بطرسوس . فلما كان على مرحلة من العسكر توفى أمير المؤمنين قبل أن يجتمع به ، ولو اجتمع به لقتله فأعيد هذا الضال إلى بغداد حيث أبقاه الوالى فى سجنها إلى الآن . . . فلو أنه مكث فى سجنه ثمانية وعشرين عاما لا ثمانية وعشرين شهرا لكانت قليلة فى سوء أدبه مع إمامه . فكيف بسوء أدبه مع الله ؟

فقال معتزلى آخر : نعم يا أمير المؤمنين ، وبلغ من سوء أدبه أن وصف خليفة الله المأمون بالفاجر ، فإنه حين أحضر إلى طرسوس ولم يبق بينه وبين جيش الإمام إلا مرحلة جاء أحد الخدم فقال : (إن أمير المؤمنين سل سيفا لم يسله قبل ذلك . وأنه أقسم بقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن لم تجبه إلى خلق القرآن ليقتلنك بهذا السيف . فما أن سمع هذا حتى جثا على ركبتيه ورمق بطرفه إلى السماء وقال :

« سيدى : غر هذا الفاجرَ حلمُك حتى تجرأ على أوليائك بالضرب والقتل ، اللهم إن كان هذا القرآن كلامك غير مخلوق فاكفنا مئونته ! »

قال المعتصم : لقد بلغنى ذلك وعلمت أن الناس يتحدثون بها فى الأسواق ويقولون : إن أحمد بن حنبل دعا بها فى أول الليل ، فما جاء الثلث الأخير حتى أتاه من بشره بأن أمير المؤمنين قد مات ، ويعتبرون ذلك من كرامة أحمد بن حنبل على الله .

فقال المعتزلى : وهذا يا أمير المؤمنين من الشواهد الناطقة بسذاجة العوام وعدم تمحيصهم وسرعة تلقيهم الجهل والخرافة بالقبول والتأييد . . . إنهم يعتبرون أن المأمون لم يمت إلا لأن الله أجاب فيه دعوة أحمد . . ويقولون : دعا عليه فى أول الليل ، فلم يأت آخره حتى جاءه نبأ وفاته . مع أننا كنا معك وهو يسلم روحه الطاهرة لله قبيل العصر أو بعده بقليل ، أى أن أمير المؤمنين المأمون رضى الله عنه مات قبل أن يدعو أحمد دعوته الرائجة الشائعة . ولكن جهل العوام سول لهم أن يتخذوا من ذلك كرامة تنبئ عن مكانته عند الله سبحانه ، وحاشا لله أن يكون لمثل هذا الضال عنده منزلة غير منزلة أهل الضلالة والبدعة والكفر .

قال المعتصم : إنهم يقولون : إن الله ألهمه الدعاء بعد موت المأمون ، فدعا به ، فأتاه الخبر بما دعا ليكون ذلك له تأييداً وتثبيتاً ؛ فالكرامة فى أن الله سبحانه ألهمه الدعاء لا فى أنه أمات المأمون استجابة له .

فقال المعتزلى : إن عقول العوام يا أمير المؤمنين لا تطيق مثل هذا ولا تعيه . على أنه كلام يدسه رءوس البدعة ويعملون على ترويجه فى سواد الناس سعياً إلى الفتنة .

قال المعتصم : كأن هناك إذن من يقوم على رأس الناس ويجمعهم على الفتنة ، وقد قلتم لى : إنه ليس هناك من يجمعهم غير هذا الرجل الذى لم يتصل بهم منذ ثمانية وعشرين شهراً .

فقال المعتزلى : يا أمير المؤمنين ، إنه لا يروّج مثل هذا الكلام إلا جماعة لا خطر لهم . . . إنهم فريق ممن دعاهم أمير المؤمنين المأمون إلى القول بخلق القرآن فأجابوا ظاهراً وظلوا على كفرهم وبدعتهم باطناً . . . وقد سقطت منزلتهم عند جمهور الناس لما أجابوا ولم يعد لهم عندهم قدر فلا يستطيعون أن يتصلوا بهم ولا أن يظهروا لهم .

فقال معتزلى آخر : رعا الله أمير المؤمنين ! إن ملكه أثبت من أن تؤثر فيه هيجة الغوغاء ، ولقد علمنا والله أن هذا الرجل سيق من بغداد إلى طرسوس مثقلا بأغلال الحديد محمولا على جمل مهين فى حالة زرية على أعين الناس ، فما اجترأ أحد على اختطافه أو حل وثاقه أو الغضب له . ولقد قطع به حراسه الطريق من بغداد إلى طرسوس ، فلم يكن إلا أفراد من نوازع الناس وأفناء القبائل ينظرون إليه

ولا يتكلمون ، ومن تكلم لا يزيد على أن يقول له : « الثبات يا أحمد ! الجنة تنتظرك يا أحمد ! » ولقد قال له أعرابى : « يا هذا ، ما عليك أن تقتل هنا وتدخل الجنة ههنا ! » . ولقد حدثنى بعض حراسه أنهم نزلوا به فى بعض منازل الطريق فجاء رجل يقول : أيكم أحمد بن حنبل ؟ فقيل له : هاهوذا ! فقال له : « يا هذا ، إن الله قد رضيك له وافداً ، فانظر لا يكون وفودك على المسلمين وفوداً مشئوماً ! واعلم أن الناس إنما ينتظرونك لأن تقول فيقولوا ! واعلم أنما هو الموت والجنة ! » فعوام الناس يا أمير المؤمنين لا يوصون هذا الرجل أكثر من أن يمد رقبته للسيف ليدخل الجنة ، ومن كان هذا شأنهم فإن القوة والشغب على السلطان لن يخطرا لهم ببال !

واطمأن المعتصم إلى هذا الكلام ، فاستمر المعتزلة فى إيغار صدره على أحمد بن حنبل فقال أحدهم :

وإذ كانت جماهير الغوغاء والرعاع بهذا الضعف فمن الخير أن يعجل أمير المؤمنين بامتحان هذا الرجل ، فإن أجاب بخلق القرآن أجاب الناس معه وكان ذلك أرسخ لملك أمير المؤمنين وإن أصر على ضلاله أنفذ فيه ما كان أمير المؤمنين المأمون يريد إنفاذه .



وقال معتزلى آخر : ولقد كان أمير المؤمنين لا يريد أن ينفذ فيه غير القتل دون أن يلق بالا لسخف العامة ولغطهم : وأنت يا أمير المؤمنين قد حباك الله بما حبا به المأمون من شدة البأس وجراءة النفس وشجاعة القلب والتمرس بفنون الحرب وألوان الفروسية ، حتى سارت بذكرك الأنباء ، فما من فارس إلا ويرى عزه فى الإقرار لك بالفروسية ، وما من بطل إلا ويراك إمامه المتقدم عليه . . . فإذا كان أمير المؤمنين المأمون قد أسقط هؤلاء العوام من حسابه ، فمولانا المعتصم بذلك أجدر وعليه أقدر . وإذا كان هؤلاء العوام لم يستطيعوا أن يمدوا لهذا الرجل يداً بمعونة فى زمن المأمون فهم عن ذلك فى عهد مولانا المعتصم أعجز وله أهيب !

وقال آخر : وما حسن يا أمير المؤمنين أن تملى لهذا الرجل فإنه لا يزداد مع الأيام إلا غياً وسوء أدب . . . ! لقد غره حلم أخيك المأمون حتى اجترأ عليه وقال عنه إنه فاجر ، وها هو ذا بعد أن قضى فى سجنك وفى قبضتك ثمانية وعشرين شهراً يحكم على رسلك الذين ترسلهم إليه فى السجن بأنهم كفرة ، ويوشك — لو أمليت له — أن يرفع عقيرته بكفر أمير المؤمنين .

فتجهم وجه المعتصم ونظر إلى الرجل كأنه يستزيده بيان ما يقول ، فقال المعتزلى : لقد ذهب إلى مناظرته يا أمير المؤمنين أحمد بن رباح وأبو شعيب الحجاج لعله يرجع عن بدعته وكفره ، وتلطف إسحاق بن إبراهيم فأخرجه من السجن وجعل المناظرة

فى داره بحضور رسول من قبله ، فلم يزده التلطف إلا إصراراً ، ولم تزده عناية أمير المؤمنين به إلا إمعانا فى سوء أدبه ، فلم يكن من إسحق بن ابراهيم إلا أن رده إلى السجن مقيداً بقيدين بعد أن كان مقيداً بقيد واحد .

وعرضت عليه الكرامة فى اليوم التالى وأخرج من سجنه فى قيديه الثقيلين إلى دار إسحاق حيث ناظره رسولا أمير المؤمنين فيما ناظراه به فى اليوم السابق ، ولكنه أصر على أن القرآن غير مخلوق . فأعاده إسحاق إلى السجن بقيد ثالث .

ثم أتيحت له الفرصة فى اليوم الثالث ليرى مبلغ حلم أمير المؤمنين فما كان لهذا الحلم من أثر إلا أنه قال لأحد الرسولين : « يا كافر لقد كفرت ! » فإذا تركناه يا أمير المؤمنين على ماهو عليه فماذا يمنعه غدا من أن يقول هذا لمن هو أكبر من ذلك . هذا إلى أن أنباء هذه المناظرات سرعان ما تتسرب إلى الخارج مبالغا فيها فيعجب بها العامة وينسجون حول المبالغات مبالغات فيشتد الخطب وتعظم البلبلة .

قال المعتصم : وكيف ساغ لهذا الضال المبتدع أن يكفر رسلى ؟

فقال المعتزلة : هذا دأبه فى سوء الأدب .

قال المعتصم : لقد أمرت بإحضار هذا الرجل من بغداد فأين هو ؟ أدخلوه !

***

فدخل أحمد بن حنبل . . . شيخ أسمر اللون ، مديد القامة ، قد قوسه مر السنين وإلحاح المحن وتعاقب السفرات الطوال سيرا على القدم . يجلله مشيب وقور ، ويسطع من وجهه ورع صارم جاد لايلبث من يراه أن يتأثر به .

ونظر المعتصم يتفرس فى الشيخ القادم عليه فإذا طلعة الشيخ الجليل تروعه بما لم يجد له مثيلا فى حياته ... لقد أحس كأن قلبه يتحول فى صدره من مكان إلى مكان . .

(يتبع)

يطيعون الله

سأل مراسل صحيفة Le Monde الفرنسية فضيلة الأستاذ حسن الهضيبى المرشد العام للاخوان المسلمين : هل تسعون إلى أن تحكموا مصر بتعاليم الإسلام ؟ فقال المرشد العام : إن الذى يهمنا هو أن تحكم البلاد بالإسلام سواء كان الحكم للاخوان المسلمين أو لغيرهم . قال المراسل : ولكنكم لا تستطيعون الحكم إلا إذا تدرب رجالكم عمليا عليه . فقال المرشد : إن الإخوان منبثون فى كل مرافق البلاد . فسأل المراسل : وهل يدينون لك بالطاعة ؟ فقال المرشد العام : لا ، إنهم يطيعون الله !!

طبول السماء

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

« الى الذين سمعوا نفخة الصور ، وما زالوا فى سبات العبودية .. والى الشعوب الجاثية على تراب الرق !! »

بدأْنا نمزِّقُ ثوبَ العدَمْ ونلطِم بالبعْثِ وَجْهَ السُّدُمْ

بدأْنا كما بدأ الهالكونَ إذا الصُّورُ فى جانبَيْهِمْ أَلَمّ

بدأْنا كما بدأ التائهونَ رمَى الفجْرَ فى ناظرَيْهِمْ عَلَمْ

بدأْنا كما انْتَبه الضّائعون عَلَى صَيْحةٍ من هدير القِمَمْ

بدأْنا كما انْتفض اليائسون عَلَى ثَوْرَةِ النُّورِ فى لَيْلِهِمْ

بدأنا ، وفينا الأسَى والهوانُ وفينا العذابُ ، وفينا السَّقَمْ

وفينا قبورٌ طوالُ الأنينِ عليها الردَى لَيْلُه مُدلهِمّ

وفينا الظّلامُ المُنيفُ الفَسادِ يُعشِّشُ فيه خَرابُ الذِّمَمْ

وفينا الرُّشَى فى نفوس العبادِ أحادِيثُها رَدَّدَتْها الرِّمَمْ

وفينا المظالمُ والظّالمونَ وُحوشٌ ، وبيدٌ ، ومرْعَى غَنَمْ

وفينا الكرامَةُ مَرْجومَةٌ كمُحْصنَةٍ لوَّثتْها التُّهَمْ

وفينا الإباءُ الجريحُ الوَقارِ كشَيْخٍ بِعارِ الصِّبا مُلْتثِمْ

وفينا المذَلّةُ للغاشمِين كأنّا ولَوْ لم يَشاءوا خَدَمْ

وفينا الدَّسيسَةُ قِدِّيسَةٌ تَدُسُّ الرَّدَى فى عَبيرٍ وسُمّ

وفينا الخيانَةُ أفْعَى وُجُوهٍ تُريقُ المَهالِكَ إذْ تبتَسِمْ

وفينا النِّفاقُ عُطورٌ تُساقُ وفى زَهْرها فاتِكاتُ النِّقَمْ

وفينا الرِّياءُ ، وفينا الحياءُ رِياءٌ حَيِيُّ الخُطَا كالنَّسَمْ

وفينا الجياعُ ، وفينا لَهُم قُلُوبٌ متيَّمَةٌ بالصَّمَمْ

وفينا التعبُّدُ بالجائرينَ — نُصَلِّى لِمَنْ جار أو من ظَلَمْ
ركَعْنا طويلاً عَلَى بابِهِمْ — من الذُّلِّ حتَّى طوتْنا الظُّلَمْ
وَدُخْنا ، ودُرْنا بلَسْعِ السِّياط — نُغَنِّى بهذا الأسَى والبَكَمْ
ودارتْ علينا سوَاقى الْهَوانِ — وكُنَّا نُهَدْهِدُ فيها النَّغَمْ
ونَسْقى جِراحاتِنا بالشقاء — وبالدمعِ والنَّدمِ المضطرِمْ
ودقَّتْ علينا طبولُ السَّماءِ — فقمنا لها من رُقَاتِ الْحُلُمْ
صَحَوْنا . . وكُنَّا الرَّمادَ الهشيمَ — فَعُدْنا اللَّظَى الصارخَ المحتدِمْ
تضجُّ بنا توبةٌ للقُيُودِ — وآثامُ عصرٍ طَوِيلِ النَدَمْ
سَبَحْنا به فى خِضَمِّ الضَّلال — على زَوْرَقٍ رِيحُهُ تَخْتَصِمْ
وتُهْنا عن الله فى قَفْرةٍ — تُعايِنُها رائشاتُ القِدَمْ
تَفِحُّ الخطايا بكُثْبانِها — وتَفْهَقُ إنْ دبَّ فيها قدَمْ . .
على كلِّ حَصْباءَ فى أرضِها — ذليلٌ يُبارِكُ فيها صَنَمْ
وفى كلِّ ناحيةٍ جائرٌ — وعبدٌ يُغَمْغِمُ فوق الوَضَمْ
تبارَكْتَ يا ربِّ هذا الجحيمُ — مِنَ الرِّقِّ ما كابدَتْهُ أُمَمْ . .
بدأنا نُدَمِّرُ طاغُوتَه — وطُغْيانَه الزَّاخرَ المرتطِمْ
بدأنا نَشُقُّ طريقَ الحياة — لِمَانينَ شابُوا بوادى العَدَمْ
مظالِمُ ما عرفوا فى الوجُود — سوى البؤسِ والعَوَزَ المضطرِمْ
إذا لوَّحُوا بجِياعِ الوُجوه — أشاحَتْ لهمْ عابراتُ النِّعَمْ
فهُمْ آدميُّونَ فوقَ التُّرابِ — وفى الكوخِ رؤْيَا شقاءٍ وَهَمْ

***

بَنى الشَّرقِ . هذا طريقُ الضِّياء — فإن لم تسيرُوا فيا ويْلَكُمْ !
سلَخْتُم على القيدِ أيامَكُمْ — ودار الزَّمانُ به فانحطَمْ
فهبُّوا فقد حانَ وقتُ الحصَاد — وأخشَى المناجِلَ تَهْوِى بِكُمْ

فى أفق العالم الإسلامى

مصر :

قلنا فى العدد الأول من « المسلمون » حين كان دم المجاهدين يسيل فى منطقة القنال :

« والحوادث التى حدثت فى منطقة القنال أثر إلغاء المعاهدة ، وتبدت فيها بربرية الإنجليز ، وإن كانت عند المراقبين للحوادث طبيعية ومتوقعة إلا أنها أزعجتهم وجعلتهم يتظننون فى روح الجد التى ألغيت بها المعاهدة ، ويخشون الارتجال الذى اتسمت به سياستنا العربية الغامضة . وهم يرون كذلك أن الدور الأول فى مكافحة الإنجليز « المحتلين » يجب أن تضطلع به الحكومة التى كانت خطوتها إعلاناً لثورة اختارت هى وقتها وظروفها ، فهى أقدر من الشعب على الاحاطة بدقائقها ، ويقولون إنه لا يجوز أن يفهم أن دور الشعب اليوم كدوره سنة ١٩١٩ ، فإن الحاكم يومذاك كان من الإنجليز ، أما اليوم فالحاكم هو مجلس من وزراء مصريين يجب أن يتجاوبوا مع الشعب تجاوباً كاملا ، وأن تقف الأمة كلها صفاً واحداً إزاء كل احتمال فإذا ذكرت المقاطعة مثلا كان المفهوم الأول منها منع الاستيراد والتصدير لا مجرد مقاطعة البضاعة التى دفع التاجر المصرى ثمنها للانجليز وضريبتها للحكومة ، وكانت مهمة الحكومة فى هذه المقاطعة أسبق من مهمة الشعب ... فإذا وجد التجاوب أصبح دور الشعب الأساسى القيام بعمل موحد الوجهة مأمون العاقبة ، وليس من طبيعة هذا الدور العملى أن تشوشه مظاهرات الصحف واستعراض الطرقات ولكن طبيعته الأولى يجب أن تكون إيثار الجد والعمل الصامت ... ! »

وقلنا فى نفس العدد فى معرض الحديث عن قضية فلسطين :

« إن المصائب التى جرتها قضية فلسطين يجب ألا يصاب منها المسلمون بجزع وخيبة أمل ، بل عليهم أن يتلمسوا فيها نوراً جديداً يسيرون به سيراً جديداً ... فإن الفضائح التى كانت مستورة أقدم من قضية فلسطين وإنما حسرت فلسطين النقاب عنها ! فلماذا الجزع وخيبة الأمل ؟ لماذا لا تكون معرفتنا لحقيقة أمراضنا أول رحمة الله بنا ؟؟ »

وقلنا فى العدد الثانى معلقين على حوادث القنال :-

« وقد تساءل الناس عن موقف الإخوان المسلمين من هذه الحوادث وخطتهم إزاءها وصرح فضيلة مرشدهم العام الأستاذ حسن الهضيبى فى مؤتمر كبير بالاسكندرية أن الإخوان أيدوا الحكومة فى خطوتها بإلغاء المعاهدة وتركوا لها القيادة وانتظروا ما ينجم عن تصرفها حتى لايكون فى أى عمل من جانبهم ما لا يتفق مع خطة الحكومة التى قالت إنها أعدتها ولم تعلنها وحتى لايكون فى استقلال الإخوان بخطة من جانبهم مظنة تتأولها الحكومة على غير وجهها كما حدث معهم فى حرب فلسطين وذكر فضيلته أنه قال لمعالى وزير الداخلية فى اجتماع الزعماء الخاص بكتائب التحرير إنه ليس لدى الإخوان كتائب ولكن لديهم مؤمنون كل منهم كتيبة فى ذاته وإذا أرادت الحكومة منهم عملا : فلتسلحنى السلاح ولا تسألنى عن أسمائهم وأنا المسئول عنهم . ولا يجوز أن ينتظر من الإخوان غير ذلك بعد الذى خبروه فى محنتهم وما دام فى البلاد بوليس سياسى . وقال فضيلته إن

الحكومة لم ترد على هذا حتى الآن . كما قال إن من مستلزمات الكفاح أن تتطهر البلاد من الملاهات الخلقية وأماكن اللهو الرخيص التى تثبط عن الجهاد وتجعل المجاهدين يتشككون فى روح الجد فى البلاد » .

وقلنا فى العدد الرابع بعد إقالة وزارة الرئيس السابق مصطفى النحاس :

« ... أما كلمتنا لشعب وادى النيل فهى أن يعد نفسه لجهاد طويل ، وأن يدرك المجاهدون فيه أن أخطر ما يعانيه الميدان هو خلوه من القاعدة الثابتة والخطة الواضحة ، وأنه ما لم يفهم العاملون أين هم ، ومن معهم ، وماذا أمامهم أو وراءهم ، ويواجهوا الموقف بجرأة قد تؤلم وبصبر قد يطول ؛ فإن الواقع سيرد عليهم رداً قاسياً . إن الأزمة أزمة أخلاق فى الصغير والكبير؛ والإنجليز ذوو فن عتيق فى اكتشاف ذوى الاستعداد للأمراض الشتى ... فالحاجة السياسية الآن هى حاجتنا إلى جيل يستعصى على المرض والعدوى وإعداده والسهر عليه هو العمل السياسى المستقيم » .

ونقلنا فى العدد الخامس من رسالة الإخوان المسلمين إلى رئيس الوزراء المصرى ما يلى :

(أولا) ينبغى أن يوجه التطهير إلى النفوس والأخلاق وأولاها بالبدء نفوس القادة والمسئولين

(ثانياً) يجب أن يعنى التطهير بصفة أساسية بتطهير المجتمع المصرى من الموبقات والمفاسد الأخلاقية ومظاهر اللهو الحرام التى تحطم القوى وتزرى بالمثل العليا وتستنزل غضب الله على الجماعة وفى الحديث الشريف « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم » .

(ثالثاً) لا بد أن يتناول التطهير كل العهود دون تفرقة وأن يقدم إلى محكمته الموالون والمخاصمون على السواء « وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى » وأن يشمل أنواع الجرائم جميعاً سواء ما يتعلق بالمال كالرشوة والاختلاس أو ما يتعلق بالاستبداد وسوء استخدام السلطة وفساد الحكم كجرائم التعذيب والبغى على الحريات وترويع الآمنين فالحق واحد والضمير لا يتجزأ والله لا يقبل منا أن نضرب على يد السارق حتى نعذر إليه بأخذ الباغى الجائر والمستبد الظالم وفى الحديث الشريف « إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يضربوا على يديه أوشك الله أن يعمهم بعذاب من عنده » .

* * *

ذلك ما ذكرناه فى حينه من رأينا فى الأوضاع الاجتماعية والسياسية فى مصر ، وأنت تقرأ فيه اتجاهاً واحداً واضحاً إلى وجوب تغيير هذه الأوضاع من أساسها وإلى أن كل محاولة قبل ذلك على غير أساس ...

وكنا نرى أن معالجة هذه الأوضاع تحتاج إلى عملين : عمل سريع يزيح الكابوس الجاثم فوق صدر الأمة يعبث بأعراضها وينتهك حرماتها ويعيش من دمها ولحمها ويفرق بين أبنائها ويتربص لكل حركات الإصلاح فيها ؛ فيهيأ بذلك جواً أنظف تتنفس فيه فكرة الخير ويقوى شمل أهلها ... والعمل الثاني : عمل أبطأ أساسه التربية السليمة ومهمته صناعة جيل مسلم العقل والعاطفة والأخلاق يؤتمن على إنفاذ أحكام الإسلام حين يمكن الله له فى أرضه .

وإنما جعلنا نميز بين العملين أن الأحوال فى مصر كانت قد بلغت درجة من الظلم والسوء والفوضى تجعل الانفجار أمراً حتماً متوقعاً وتجعل الحاجة ماسة إلى حركة سريعة حازمة تتولى الانقلاب

وتقى البلاد شر الانفجار وفوضاه ، ولكنها - فى تقديرنا الذى لا نزال نصر عليه — لا يمكن إلا أن تكون حركة سريعة ، لاتغنى عن عمل آخر يحتاج إلى وقت وتنضيج... عمل آخر أبطأ وأحكم: مهمته احتضان شئون الحياة جميعا وردها إلى حكم الإسلام بيد من حديد وبروح سمحة واعية تنكر التعصب المقيت وتفهم العصر الذى نعيش فيه وتقدر أن الزمن جزء من العلاج ... هذا العمل الآخر البطىء له أهله ورجاله ولا يصلح له إلا من آمن به عن يقين واقتناع وتربى عليه تربية انصهرت بها نفسه واستقامت بها أخلاقه وتحدد بها منهج كفاحه . . .

ولا يستغرب القارىء إذا قلنا له إن الذى كانت ترشحه كل الظروف — فى تقديرنا — لهذه الحركة السريعة هو « الجيش » ومرجع ذلك إلى أمور ثلاثة :

أولها : هزيمة فلسطين التى علق خزيها بالجيش ظلما وبهتانا ، فإن معركة فلسطين لم تكن معركة عسكرية قط ، وإنما كانت معركة سياسية هزيلة تصدر الأوامر فيها من مقاعد الساسة الوثيرة فى القاهرة إلى المكافحين بين يدى الموت فى خط النار . إن هذه الهزيمة تجعل للجيش ثأرا أى ثأر . . .

وثانيها : أن عهد الفساد الذى ولى كان يزعم أن الجيش هو سناده وكان يلوح به ويهدد . وذلك كان حريا أن يزيد من سخط الأبرار فى الجيش على الفساد وأن يزيد من شعورهم بالمسئولية التى فى أعناقهم . . .

وثالثها : أننا بلغنا مدى بعيدا فى تجربة أساليب السياسة والكتابة والخطابة سواء فى محاولة الإصلاح الداخلى أو فى استخلاص حقوقنا فى فلسطين والقنال . . . حتى سئم الناس الكلام والوعود ، وحتى بدأ اليأس يدب فى النفوس . . . وأصبحت الحاجة شديدة إلى معنى جديد من « القوة » يرد هذا اليأس ويبطش بالعابثين . . . ومن أولى من الجيش بالقوة والبطش ؟

وقد كان ، وانبعث الجيش بحركته الميمونة المباركة يقوده البطل اللواء محمد نجيب فكتب الله له التوفيق وأنزل الطغيان عن عرشه وفتح الطريق لما نرجوه وننتظره من اتباع الرأس بالأذناب ومن تحطيم الطواغيت جميعا وما أكثرها فى كل مرفق من مرافق البلاد . . .

وإذا كانت الظروف قد رشحت الجيش للعمل السريع الذى بدأ بتوفيق الله فإنها لا ترشح للعمل الآخر الضخم إلا أولئك الذين سيستطيعون أمرين كبيرين : أولهما ، الفهم الدقيق للاسلام . والثانى ، التربية الحية التى تصنع لهذا الدين قادة من نوع جديد ، وجندا لا تزيغ أبصارهم ولا أقدامهم فى معركة الحق والباطل الرهيبة .

أخبار متفرقة

● جاء فى تقرير سرى للأمانة العامة لجامعة الدول العربية أن إسرائيل جعلت الخدمة العسكرية فيها إجبارية ولمدة سنتين من سن ١٨ سنة لغاية ٢٨ سنة ، ويجب على كل فرد يبلغ عمره من ٢٩ إلى ٥٠ سنة أن يقدم نفسه سنويا للتدريب العسكرى شهراً .

● كما جاء فى هذا التقرير أن الهجرة اليهودية إلى فلسطين بلغت فى العشرة الأشهر الأولى من العام الماضى ١٦٤٠٠٠ مهاجرا ، مما جعل تعداد السكان حتى نهاية شهر نوفمبر سنة ١٩٥١ يقدر بنحو ١٥٥٤٠٠٠

● حين تلقى الإمام أحمد ملك اليمن نبأ تنازل فاروق عن العرش من طريق الراديو ، بلغ به الاضطراب حداً ألجأه إلى الانزواء فى جناحه الخاص تاركا وزراءه وزائريه معا .

وفى اليوم التالى أصدر أمره بإلغاء الرخص الممنوحة للمقاهى لاستخدام أجهزة الراديو .

وتقى البلاد شر الانفجار وفوضاه ، ولكنها - فى تقديرنا الذى لا نزال نصر عليه — لا يمكن إلا أن تكون حركة سريعة ، لا تغنى عن عمل آخر يحتاج إلى وقت وتنضيج... عمل آخر أبطأ وأحكم: مهمته احتضان شئون الحياة جميعا وردها إلى حكم الإسلام بيد من حديد وبروح سمحة واعية تنكر التعصب المقيت وتفهم العصر الذى نعيش فيه وتقدر أن الزمن جزء من العلاج ... هذا العمل الآخر البطىء له أهله ورجاله ولا يصلح له إلا من آمن به عن يقين واقتناع وتربى عليه تربية انصهرت بها نفسه واستقامت بها أخلاقه وتحدد بها منهج كفاحه . . .

ولا يستغرب القارىء إذا قلنا له إن الذى كانت ترشحه كل الظروف — فى تقديرنا — لهذه الحركة السريعة هو « الجيش » ومرجع ذلك إلى أمور ثلاثة :

أولها : هزيمة فلسطين التى علق خزيها بالجيش ظلما وبهتانا ، فإن معركة فلسطين لم تكن معركة عسكرية قط ، وإنما كانت معركة سياسية هزيلة تصدر الأوامر فيها من مقاعد الساسة الوثيرة فى القاهرة إلى المكافحين بين يدى الموت فى خط النار . إن هذه الهزيمة تجعل للجيش ثأرا أى ثأر . . .

وثانيها : أن عهد الفساد الذى ولى كان يزعم أن الجيش هو سناده وكان يلوح به ويهدد . وذلك كان حريا أن يزيد من سخط الأبرار فى الجيش على الفساد وأن يزيد من شعورهم بالمسئولية التى فى أعناقهم . . .

وثالثها : أننا بلغنا مدى بعيدا فى تجربة أساليب السياسة والكتابة والخطابة سواء فى محاولة الإصلاح الداخلى أو فى استخلاص حقوقنا فى فلسطين والقنال . . . حتى سئم الناس الكلام والوعود ، وحتى بدأ اليأس يدب فى النفوس . . . وأصبحت الحاجة شديدة إلى معنى جديد من « القوة » يرد هذا اليأس ويبطش بالعابثين . . . ومن أولى من الجيش بالقوة والبطش ؟

وقد كان ، وانبعث الجيش بحركته الميمونة المباركة يقوده البطل اللواء محمد نجيب فكتب الله له التوفيق وأنزل الطغيان عن عرشه وفتح الطريق لما نرجوه وننتظره من اتباع الرأس بالأذناب ومن تحطيم الطواغيت جميعا وما أكثرها فى كل مرفق من مرافق البلاد . . .

وإذا كانت الظروف قد رشحت الجيش للعمل السريع الذى بدأ بتوفيق الله فإنها لا ترشح للعمل الآخر الضخم إلا أولئك الذين سيستطيعون أمرين كبيرين : أولهما ، الفهم الدقيق للاسلام . والثانى ، التربية الحية التى تصنع لهذا الدين قادة من نوع جديد ، وجندا لا تزيغ أبصارهم ولا أقدامهم فى معركة الحق والباطل الرهيبة .

أخبار متفرقة

● جاء فى تقرير سرى للأمانة العامة لجامعة الدول العربية أن إسرائيل جعلت الخدمة العسكرية فيها إجبارية ولمدة سنتين من سن ١٨ سنة لغاية ٢٨ سنة ، ويجب على كل فرد يبلغ عمره من ٢٩ إلى ٥٠ سنة أن يقدم نفسه سنويا للتدريب العسكرى شهراً .

● كما جاء فى هذا التقرير أن الهجرة اليهودية إلى فلسطين بلغت فى العشرة الأشهر الأولى من العام الماضى ٠٠٠و١٦٤ مهاجرا ، مما جعل تعداد السكان حتى نهاية شهر نوفمبر سنة ١٩٥١ يقدر بنحو ٠٠٠و٥٠٤و١

● حين تلقى الإمام أحمد ملك اليمن نبأ تنازل فاروق عن العرش من طريق الراديو ، بلغ به الاضطراب حداً ألجأه إلى الانزواء فى جناحه الخاص تاركا وزراءه وزائريه معا .

وفى اليوم التالى أصدر أمره بإلغاء الرخص الممنوحة المقاهى لاستخدام أجهزة الراديو .

● أذاعت الحكومة الأمريكية أن الولايات المتحدة أنفقت فى العام الماضى على المشروبات الروحية تسعة مليارات ومائة وخمسين مليونا من الدولارات بزيادة أربعمائة وخمسين مليونا من الدولارات عما أنفق على المشروبات الروحية فى العام الأسبق ، ويقدر ماأنفق فى العام الماضى فى هذا الباب بنصف ما أنفق على الملابس والأحذية .

● رفض جلالة باى تونس مشروع الإصلاح الذى وضعته الحكومة الفرنسية لتنفيذه فى تونس ، ولم يجب طلب المقيم أن يوقع المراسيم الخاصة بهذا المشروع .

● صرح البانديت جواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند فى البرلمان الهندى بأن الاتفاق قد تم بينه وبين الشيخ عبد الله حاكم ولاية كشمير الهندية على أن تبقى الولاية إحدى ولايات الجمهورية الهندية وأن يتمتع رعايا كشمير بجميع حقوق المواطن الهندى . وأن القوانين القديمة التى تحرم على الأجانب احتلال الأراضى فى ولاية كشمير سيستمر العمل بها . وتنتخب الجمعية التشريعية فى كشمير رئيس الولاية على أن تكون موافقة رئيس جمهورية الهند ضرورية لاعتماد هذا الانتخاب . ولسنا ندرى أى قانون يسوغ أن يصبح أهل البلاد سلعة يبيعها عبد الله لنهرو مقابل ثمن بخس من مطامع رخيصة فى الملك والسلطان ! . ثم كيف يحدث الاستفتاء بعد ذلك ويكون حراً ؟ . إن نهرو بذلك يسفر عن جشع السياسة الهندية وماتضمره من شر فى قضية كشمير متحدية بذلك منطق العدل ومشاعر المسلمين جميعا .

● توغلت داورية يهودية ثلاثة أميال داخل الأراضى الأردنية فى منطقة العقبة وهاجمت بعض الرعاة العرب وقتلت عدداً من جمالهم .

● نشرت جريدة الرأى العام المراكشية لسان حزب الشورى والاستقلال خبر تنازل فاروق عن العرش فى صفحتها الأولى تحت عنوان : تحت إرادة الشعب فاروق يتنازل عن عرشه ، شعوب تكافح فتنتصر .

● يعانى أطفال الأسر الإسلامية العريقة فى ألبانيا فى الوقت الحاضر اضطهاداً شنيعاً من جانب السلطات الشيوعية .

وقد ذكر أحد المهاجرين الذين أفلحوا فى الفرار من معتقل تيبولين أن هناك ثمانمائة امرأة وتسعمائة طفل من بين مجموع المعتقلين البالغ عددهم ٢,٢٠٠ معتقلا . وأضاف هذا المهاجر يقول : إن عشرين رجلا وخمسة وستين طفلا قد لقوا حتفهم أخيراً فى المعتقل من أثر أمراض السل والدوسنطاريا وغيرهما .

● وافق البرلمان الإيرانى على برنامج الدكتور مصدق الخاص بتقويم الميزانية لتفريج الأزمة الاقتصادية مستعينة باستغلال موارد البترول إلى أقصى حد مستطاع وتصديره إلى الخارج والمبادرة فى الوقت نفسه إلى زيادة الضرائب وتعزيز الانتاج وخفض المصروفات الحكومية .

وقد وافق البرلمان على إعطاء الدكتور مصدق سلطات مطلقة كاملة مدى ستة أشهر لمعالجة الأزمة الاقتصادية الخطيرة التى تعانيها إيران من جراء الحصار الاقتصادى الإنجليزى .

● ألغت الحكومة الأردنية الألقاب المدنية على أن يحل محلها لفظ السيد .

● اجتمع مندوبو ٢٥ دولة من بينهم زعماء السياسة وكبار رجال الصناعة والثقافة من أوربا وأمريكا وأفريقيا والشرق الأقصى ، فى الاجتماع العالمى لمؤتمر التسلح الخلقى لعام ١٩٥٢ وافتتحه الدكتور فرانك بوخمان مؤسس الجماعة فقال : إننا فى حاجة إلى شىء كهربى ، صدمة عنيفة تعيد الوعى إلى الأفراد والشعوب قبل أن يفوت الأوان . ونحن نرمى من التسلح الخلقى إلى استقرار هذه العاصفة الهوجاء من الفوضى ، وكشف هذه الغمة التى تعم ربوع المعمورة .

أخى القارىء . . .

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعد : فينتهى بهذا العدد « العام الأول » من عمر مجلتك الناشئة ، ولسنا بعد ندرى ما نكسب غداً ، فإن مد الله فى العمر فذلك الإذن منه سبحانه بالمضى فيما اعتزمناه من خدمة الإسلام . . ونسأل الله صالح النية وجميل القبول .

وقد كنت حين وجه الله القلب إلى إصدار هذه المجلة — شديد الإشفاق على فكرتها من جهلى ، ومن النقص فى كثير من الوسائل التى تلزمها لتؤدى رسالتها ، وتتحمل أمانة التوجيه فى عصر الفتنة القاسية الذى نعيش فيه ؛ ولكننى أقدمت على إصدارها فى شعور واضح بأن هناك ثغرة ضخمة يجب أن تسد بمثلها . . . وفى شعور غامر كذلك بأنها ستأخذ بإذن الله طريقها سهلا سواء . . . وقد كان . . . ولله الفضل والمنة ؛ وإن السمعة العالية التى تتمتع بها « المسلمون » فى كل قطر من أقطار الإسلام ، والرسائل الكثيرة التى تنهال علينا من كل زواياه مملوءة بالفرحة الصادقة والتقدير المشجع الكريم . . . هذه وتلك من علائم قبول الله عز وجل ، وكل الفضل دائماً منه وإليه . . .

***

وإذا كان بعض الأعداد قد تأخر فى صدوره يومين أو ثلاثة فليس لنا فى ذلك من عذر إلا أن أكثر كتاب المجلة من صفوة القادة المشتغلين بالحركة الإسلامية فى أقطارهم ، وهى مشغلة فادحة التبعات ، فكنا نؤثر أن يتأخر الصدور يومين على أن نحرم الخير فى توجيهاتهم ؛ ونحن ننتهز هذه الفرصة لنرجو حضراتهم أن يعملوا على التبكير ، ونرجو من جانبنا ألا يتكرر هذا التأخير .

أما الأعداد التى ضاعت فى البريد ، فعذرنا معها سوء توزيع البريد ، وهذه مشكلة قاسية تحايلنا لعلاجها بما نملك من وسائل حتى خفت الشكوى كثيراً ؛ وقد عزمنا أن نتحمل تبعة سوء البريد — وذلك ما لا تتحمله مجلة أخرى — وسنرسل إلى الإخوة المشتركين الذين وصلتنا شكواهم فى حينها الأعداد الأولى التى ضاعت حين إعادة طبعها فى إجازة المجلة إن شاء الله .

***

وسيطبع « فهرست » للسنة الأولى ويرسل مع العدد الأول من السنة الثانية فى ربيع الأول إن شاء الله .

***

كما تقرر استجابة لرغبات كثيرة جعل اشتراك اخواننا جنود الجيش مخفضاً كاشتراكات الطلاب .

***

وفى النية كذلك فتح أبواب جديدة عامرة فى تحرير المجلة يكون بعضها سهل التناول ، والله المسئول أن يحقق الأمل الواسع ، ويبارك جهد المقل ، وعلى الله قصد السبيل ؟

سعيد رمضان